

الجمهورية

صاحب المجلة
ومديرها ورئيس
محرريها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٨١ شارع السلطان
حسين بباعدين
تليفون ٢٧٤٩٠

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

سكرتير التحرير
محمود الخفيف

بدل الاشتراك
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في الممالك الأخرى
٣ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد الرابع ٢٧ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ - ١٥ يناير سنة ١٩٥٣ السنة الرابعة

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	
٢	لا مفر أقصوة مصرية للأستاذ محمود الخفيف
١٧	الفرقة الزرقاء للتصني الفرنسي بروسير مريميه بقلم الأستاذ محمد عبد الفتاح محمد
٢٩	الذهليز المكشوف أقصوة مصرية للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله
٣٤	امرانان ورجل عن الأمريكية بقلم الأستاذ زينب الحكيم
٥٠	ملك آشوريا لتولشوى بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى
٥٧	الوردة الثالثة عشرة قصة بوابسية للكاتب الإنجليزي فيليب أوبنهايم
٨٠	فكر في الحل

لامية

للأستاذ محمود الحضيف

نهض الفتية واقفين في اعتدال وأمسكوا
عن الظيايط والضحك حين أقبل عليهم
ذات مساء من أماسى مايو على أخو العمدة
وكانوا خمسين أو يزيدون قد فرغوا منذ
قليل من علمهم المضى وبدا في وجوههم التعب
إذ كانوا طيلة نهارهم يحملون مقاطف الفحم
واللبنات الثقيلة على كواهلهم إلى حيث أخذ
البنائون يرصونها على نظامهم طبقات بعضها
فوق بعض يتخللها الفحم ليجمعوا من ذلك
اللبن آجرا بالحريق

وكان الفتية قد تقاضوا منذ لحظة أجز
بومهم من صراف العمدة وكانوا جميعا في
الأجر سواء لافرق بين قويمهم وضعيفهم .
ولقد تعودوا أن يظفروا كل مساء ببضعة
قروش زيادة على أجرهم من على أو الأستاذ
على كما تعود الناس أن يدعوه في القرية .
وألقي الأستاذ إليهم السلام هاشا كما يفعل
كل أمسية ، وردوا مرحبين وإن بدا عدم
الارتياح على وجوههم لرؤيته في ملابس
المدينة فلمله مسافر الليلة ، ثم أخذ يضع
بنفسه في يد كل منهم ثلاثة قروش وهو
كمادته يحذرهم ضاحكا من الممسل والشاى

الأسود ، وهم يتظاهرون بالطاعة ويضمرون
العصيان حتى بلغ آخر الصف فالتفتوا ليروا
ماذا يضع هذا المساء في كف صابر . ونظر
الأستاذ إلى صابر معجبا وهو يقول له :
« أنت اليوم بخمسة رجال يا صابر وكنت
أمس بأربعة » ثم ألقى في يده قدر ما يلقيه
إلى خمسة منهم . فهلل وجه صابر الذي
يترقق فيه ماء الشباب ولا يبدو فيه أثر
الجهد ، وقال وهو يرفع يده القوية التي يخططها
الوشم إلى رأسه بالتحية وقد التمت بنشوة
الفوز عيناه المليحتان : « وغدا بمشرة إن
شاء الله يا سيدى .. ربنا يطيل لنا عمرك »
ونفرك الفتية إلى دورهم وقد أخذت
تشرب كدرة الأفق حمرة الشفق .. وما
كادوا يتعمدون حتى أخذ بعضهم يتماززون
وبعضهم يتهامون . وقال أحدهم في صوت
مسموع : « والله إنه يكرمه من أجل عيني
نعمة .. عينيها الخضراوين وهذا .. العبيط
لا يفهم شيئا » وقال آخر : « حذار ، فإن شبل
ابن خالها وراءك قادما من حقله » وقال
ثالث : « لا والله بل إن الأستاذ يحب صابرا
منذ صغره ويمعجب بقوته ومواديله وأرغوله

ولم لا تفر بالحق فهو بخمسة منا أو أكثر»
وسمع شبل هذه العبارة فقال في غيظ وقد
مر بهم على ظهر حماره : « اليوم بخمسة
منكم وأمس كان بأربعة وغدا بسبعة ! والله
هذا كلام فارغ . ولست أدري ماذا يعجب
الاستاذ فيه ! »

ومر صابر بهؤلاء ، ولم يسمع ما يقولون .
والتفت شبل فنظر إليه نظرة كلها حقد
وبعض فضحك من رأوه من الفتية

كان صابر في الثانية والعشرين من
عمره ، ريان الشباب ، تأخذ المين قامته
الديدة في غير إفراط ، وجسمه المني في
غير بدانة ، وعدله الفحول في غير غنظ ،
وتمعجب الناظر إليه فوق ذلك وسامة في
وجهه الأسمر ، وملاحظة في عينيه السوداوين ،
ووشم أزرق في صورة عصفورين على عارضيه ،
وأسطر من هذا الوشم في ظاهر كفيه .
وقل في شباب القرية من يساويه في ضربة
فأسه وطول نفسه . يعمل طول نهاره ولا
يكاد يكل ، وإذا تحمس في عمله نبى نفسه
فقل ملا يطبق غيره أن يفعل ، وإذا نافسه
في البأس والحمد منافس حمل كل هم أن
يفوز عليه ، فإلى إلا لحظات حتى يحمل
على الإذعان منافسه ، وبصحك منه ، ولند
يتكاثر عليه المنافسون فإذا بهم تبهرهم قوته

وتحزيمهم عزيمته . ولقد شاع في القرية
حديث بطولته كما شاعت فيها مواويله .
وإنه ليتغنى بالواويل أثناء العمل فينصت له
الشباب مأخوذون بسحر صوته وقد ملأ
الطرب أجسامهم ، إنه كذلك يغنى غناء
هاوي في بعض الأعراس فما أن يذاع أنه
سينفى ذات ليلة حتى يتقل فتبان القرية على
دار العرس فيملأونها ويتلاون الشارع
أمامها وتقل الصبايا فيملأن الأسطح
القرية ومداخل الحارات . ويقترح عليه
الشباب أى معنى فما أسرع أن ينظم فيه
موالا جديدا وما أسرع أن يصلصل حلته
القرى بتطريب عجيب ، ينمى من أعماق
نفسه فويا تجلجلا حتى لسكا يهز الدور هزا

دخل صابر داره وفي يده منديل يحمل
فيه أشياء اشترىها في طريقه من دكان ،
وكانت تضئ نعن الدار مسرحية ترسل
داخلها الكفيف في كوة صغيرة قد اسود
سقفها وجوانبها من كثرة ما علق بها من
اللباب . وكانت أمه جالسة مع أخته
فتحية بجوار المصطبة ، وكانت تطعمان الحيز
القديد والمحال . ورأى في نظرة أمه إليه
أنها كانت ترقب قدومه وإنه ليقطن إلى
ما تريد ، وقال لها دون أن يحسبها « ماذا
تأكلان ؟ » ووضع منديله على المصطبة

وقبل أن تجيئه إحداها ذهب إلى مجلته وكانت تحت عريشة بغير باب في جانب من صحن الدار ، ونظر فيما أمامها من علف ، وقلبه بيديه ثم عمد إلى مقطف بجوار المصطبة فأخذ منه بمض الفول ونثره على ذلك العلف ومسح بكفه على ظهر مجلته وهو يسأل أخته هل سقيتها ؟ فأفسمت له فتحية وهى بنية خفيفة الروح فى الثاية عشرة من عمرها أنها سقتها ثلاث مرات وأشهدت أمها على ما تقول ، فأخرج لها صابر من منديله نصف رغيف وقطعة من الحلو الطحينية ، وأعطى أمه مثل ما أعطى أخته ، وجلس على حافة المصطبة يأكل ما تبقى له فى المندبل

وقالت فتحية : متى تمطينى ثمن مندبل لرأسى وقد وعدتنى بذلك ألف مرة ؟ فأجابها صابر : سأشتري لك مندبلا بوم السوق ما دمت مهتمة بمجلى

فقال أخته ضائنة : تقول هذا كل أسبوع ولا تمطينى شيئا .. أأست مثل ... ونظر إليها أحوها فى غضب فلم تقل مثل نعيمة . وفطنت أمها إلى ما تريد فتحية فشت فى وجهها كدرة وزمت شفتيها متكرهة كما تفعل كلما ذكرت نعيمة . فقال صابر لأخته وهو يشير إلى يديها يريد أن بغير مجرى الحديث ...

ومن اشترى لك هذه الفواش الجميلة ؟ فضحكك فتحية ورن فى صحن الدار صوتها العالى وقالت : أنت اشتريتها .. ربنا يخليك يا صابر وأفرح لك بالعروس التى تحب .. ثم عادت تضحك فى كثير من الرعونة فحجبها أمها زاجرة فأمسكت فى جهد . ثم تركت أمها وأخاها وخرجت إلى الحارة وقد سمعت صاحبات لها يتغنين ويلعنن ...

فقال أم صابر لولدها : يا صابر أبوك فى حاجة إلى جنينه . وقد ظل ينتظرك هنا طويلا ثم ذهب إلى الجامع

فتغير وجه صابر وكان لا يزال به أثر السرور مما قالت أخته ؛ وقال لأمه : ذهب إلى القهوة لا إلى الجامع .. جنينه ؟ ومن لى بهذا الجنينه ؟ ألا يكفى أنى أطعم نفسى ؟ إبنى أعمل عمل الأجير طيلة نهاري ثم يأخذ أبى قروشى فيضيعهم فى القهوة ! حتامأأحذف روشي ؟ فقالت أمه : إن نصف الجنينه دين عليه يريد أن يؤديه ، وزيد أن تشتري بالنصف الآخر ذرة وقد أوشك أن يتفقد ما عندنا منها فنظر صابر إلى وجهها الضارع المصفر وإلى عينيها اللتين تمسكان الدمع فى جهد إلى بدنهما الذى نال منه الكدح وقال : غدا أحضر لك الجنينه .. ولكن اسمى : إنه إذا طلب منى شيئا بعد ذلك فلن أدفع أبدا فقالت أمه فى نبرات ملؤها الحماسة : الله

وعذره ، هو سالم الذى ألقى فى السجن مرات فلم يردده السجن إلا ترداداً وعتوا .

وأشار سالم بيده إلى صابر نحف إليه وإلى صاحبه . ووقف ثلاثتهم يتحدثون لحظة حديثاً غير مسموع ، ثم علا صوت صابر فى غضب ، فنهض الفتية من الحلقة واحداً فى إثر واحد ، وقد أحسوا أن فى الأمر شراً وتجمعوا حول صابر ومن معه ، وشخصوا بأبصارهم إلى صابر والحنق فى معارف وجهه والثورة مل بدنه وهو يقول إنه لا يخشى أحداً إلا الله وأنه لا يعرض فى أغانيه بأحد وأنه لا يعبده أن يحمل الفحم والطوب : ولولا أنه فى ساحة العمدة لأراها كيف يرد على إهاتهما إياد . ثم اتجه إلى شبل قائلاً : هل جئت بسالم لتخوفنى به ؟ لم لم تحضر وحدك إذا كنت رجلاً ؟ واستخذى شبل كما استخذى صاحبه . وأخذ سالم فى مثل روغان الذئب يتنصل مما نسب إليه ويعلن أنه صديقهما مما وأنه يحب صابراً وما قصد إلا الصلح بينه وبين شبل . وأنه لن يهدداً أحداً فى ساحة العمدة

وعجب الفتية كيف يغضب صابر على هذه الصورة وما عرفوه إلا هادئاً صبوراً ، عذب الروح ، يصلح بين المتخاصمين ، ويطلق الشر بنكاته . وتساءل بعضهم فقال صابر : هل تصدقون أننى أعرض بينت خالته فى أغاني ؟

يخلف عليك يا صابر ويطول عمرك يا ابني ويفرحك بينت الحلال

فقال صابر يداعب أمه ليضحكها : ومن تكون بنت الحلال هذه ؟ ألا تعرفينها ؟ فما كادت تبسم أمه حتى حبست أنفاسها وكادت تشيح عنه بوجهها وكان يقع عليه نور السرجة منذ أن انجحت إلى ابنها فأمعن صابر فى مداعبتها فثلاً : ولكنى أعرف بنت الحلال هذه وهى واحدة لا ثانية لها . فأشارت أمه بكفها متقاطعة إشارت الرفض دون أن تتكلم ، وضحك صابر ضحكة عالية فيها كثير من عذوبة روحه ..

فرغ الفتية بعد بضعة أيام من عملهم وجلسوا فى آخر أمسية لهم متحدثين ، وقد نفضوا الزراب عن ثيابهم ووجوههم وكانت تملو وجوههم غبطة : فتدعاهم أن الأستاذ عليا عاد من سفره وأنه سيعطيهم من ماله الليلة عن يومهم هذا وعن الأيام التى غاب فيها عن القرية ، وكانوا يتحدثون بما عسى أن ينال كل منهم وما ينال صابر بوجه خاص ، وكان شئ آخر يدخل السرور على نفوسهم وإن لم يشيروا إليه فى أحاديثهم . فى القرية الليلة عرس وسيفنى فيه صابر ...

وبينما كان الفتية فى حلقتهم إذ أقبل شبل ومعه فتى ليس فى القرية من يجهل شدة

ينتهز على فرص العمل فيضاعف له الأجر..
والثقت إليه على فساله : ماذا يسرك بك

يا صابر ؟ هل كنتم تتشاجرون ؟

فأجاب صابر : لا .. أبدا وهل تتشاجر

في ساحتكم ؟ إنما أحس بشئ من التعب

فقال على : أنت تحس التعب ؟ قل كلاما

غير هذا يا صابر ... لا بد أنك لم تر نعيمة

اليوم هذا هو السبب الحقيقي

فابتسم صابر ولم يجب .. وبعد لحظة قال

لعلى : أرجو منك أن ترسل من يأتي بأبي

بعد أن أنصرف ، فتمنعه من السهر في

القهوة لقد رجوت ذلك كثيرا منك .. إنه

يرهقني بطلباته ويهمل القرار يسط التي

يستأجرها وماذا يعمل إذا تزوجت أو مت ؟

وضحك الأستاذ على قائلا : عجيب أن

يكون الولد هو الذي يدعو إلى استقامة

الوالد .. سأفعل ما تريد يا صابر .. قل لي

أصبح أنك ستغني الليلة ؟

فابتسم صابر وقال : إني أغني كما تعلم

يا سيدي غناء هاو ، فإذا اتاح لي المغي

السناجر فرصة غنيت .. على أن كل صاحب

عرس يتكدر خاطره إذا حضرت ولم أغن

ولهذا فلا بد أن ألبى .. ولسكن بعد أن يفرغ

المغني الأصيل من غنائه

فقال الأستاذ على : سأحضر الليلة بنفسى

لا سمحك . لا تعلم أحدا بذلك . وسيكون

ثم اتجه إلى شبل قائلا : وما أنت وهذا ؟ ثم

من أنت حتى تعيرني بعملى وهل يسير

الإنسان أنه يأكل من عرق جبينه ؟

وما أن سمع الفتية ذلك حتى أقبلوا على

شبل ينهرونه ، وكاد يتفاقم الشر لولا أن

أقبل على أخو العمدة فسكنت ريحهم ونسل

سالم وصاحبه

ثم تفرق الفتية إلا صابرا بعد لحظات وفي

راحاتهم من القروش ما ألحج بالدعاء لعلى

وأخيه العمدة ألسنتهم ، وفي نفوسهم من

التطلع إلى العرس وغناء صابر ما أنساهم

كلام شبل وما خفف عنهم تعب أجسادهم .

وجلس الأستاذ على كرسية ووقف صابر

إلى جانبه وما زال أثر الغضب في وجهه على

الرغم مما أصاب من نقود لو عرف الفتية

مقدارها لللاثم العجيب . وكان على يختص

صابرا بمحبته ، وينزله من نفسه منزلة بين

التابع والصديق ، ولولا العرف وما ينطوى

عليه من سخف كثير لو ضمه في موضع

الصديق . ففي إجازاته لا يكاد يرى صابر

إلا معه إذا لم يمنعه من ذلك عمل . يرسله على

في أكثر أسوره ، ويأنس بفكاهاته وأحاديثه

عن القرية وأبنائها . وإن غلبا ليعجب من

تعفف صابر على ما به من خصاصة فما يطلب

منه مالا أبدا مهما بلغ به العسر . ولا يطمع

منه في مناع أو زاد كما يطامع غيره ، لذلك

أحرك منى لا من صاحب العرس

وبدت الدهشة والغبطة في وجه صابر ثم

قال : هذا شرف عظيم لى ولصاحب العرس

والقربة كلام

مضت ساعة بعد صلاة العشاء ولم يعد

شبل إلى داره . وكان أبوه الحاج عثمان في

الدار ينتظره قلنا ساخطا عليه لتأخره ،

وكانت أمه تبهون له الأمر ، وتلتمس المماذير

لتأخر ابنها ، وإنها لتعلم أين هو فهو في دار

حالته لا يكاد يتجلف ليلة عنها على الرغم من

سبق محمد ابن خالته به ، ولكنها تقول

تزوجها لعله يلم ببعض الدور ليتفق مع من

يعينونه غدا في الحرائة ، أو لعله خف إلى

بيت أخواله ليمود حسنا ابن خاله ، وماهى

إلا لحظة ثم يرجع . ولكن أباه لا يقتنع

بهذا ويصيح بها في غضب قائلا وهو أمام

منظارته تحت فانوس يرسل ضوء الخرافات

في صحن الدار الواسع : إسمى يا امرأة ..

ما دامت يدي هذه تلف عمامتي لا أسمع

لأحد من أبنائي أن يعصيني . إن أخاه

الكبير معنا من بعد صلاة العشاء . أظن

أنى غافل عنه ؟ لقد سمعت الليلة في الجامع

أنه اتخذ سالم حماد صديقا له وليس في البلدة

من يحمل من هو سالم . إنه يستغل ابنك

ليأخذ منه ما يستطيع أخذه من مال ومن

زرع . ولقد كاد يحجره الليلة إلى مشاجرة في

ساحة العمدة مع صابر بن جودة . وكيف

يقوم ابنك غدا إلى عمله قبل الشمس وهو

لم يتم حتى هذه الساعة ؟ لقد اتفقت منذ

المغرب مع من يعينوننا ولدينا مزارعوننا وعم

من أقوى الرجال

وهمت امرأته بأن تطفى الفانوس لتصرفه

إلى عرفته في أعلى الدار لينام ، مكتفية بنور

مسرحة في كوة عند باب السلم وأخرى في

مدخل الحظيرة . ولكنه استمهلها مغضبا

فهو خارج ليلتمس ابنه ، ودخل المنطرة

فأخذ مراوطة في يده ومضى يريد الخروج فلم

يسكد يفتح باب الدار حتى وجد ابنه على

عتبتها ، فأمسك بتلابيبه بيسراه وهو يسأله

أين كان حتى هذه الساعة ، ثم رفع مراوطة

يريد أن يهوى بها على جسم الفتى وكادت

زوجته تصرخ ولكنها أمسكت بالمرأوة ،

وظلت تتوسل إلى زوجها حتى أطلق ابنه

وقد عقدت المفاجأة لسانه . وكأننا أراد

شبل أن يطفى نائرة أبيه ، فذهب إلى

الحظيرة فقلب العلف أمام الثور والبقرة وألقى

عليه بعض الفول ، ثم فعل مثل ذلك بملف

الجاموسين والحير الثلاثة ، وأطعم مسرحة

الحظيرة وأعلق بابها . فقال له أبوه . إذا

تأخرت خارج الدار بعد ذلك كما فعلت الليلة

قلن تدخل دارى ، وإذا بقيت على صلتك

مدخل إحدى الدور الواسعة الظاهرة النعمة
جلس على أخو العمدة على مصطبه مع
صاحب الدار

وأخذ معنى العرس يبدى مواويله
المحفوظة ويعيدها ويجمع « النقوط » من
هذا وذاك . والناس ضئفون يسألون متى
يبدأ صابر . وفطن أصحاب العرس إلى
ضجر الناس ، فما كاد ضيوفهم يفرغون من
شرب القرفة حتى دعا أحدهم صابرا ، فضج
الشباب بأصوات الفرح ثم سكتوا وأرهفوا
آذانهم . وتزاحف النسوة والصبايا على
الأسطح يقتربن ليرين صابرا وهو يغنى

ووقف صابر في جلبابه الأبيض النظيف
وعلى رأسه طاقية أنيقة بيضاء فيها قليل من
صبغة زرقاء ، وعلى أحد عاتقيه كوفية منتوشة
من الحرير وفي يديه أرغول طويل . وكان
مرفقه تحت أحد المصاييح فأضاء وجهه
الأسمر الوسيم حتى ليرى المصفوران في
عازيته . ودار صابر بعينيه في الجالسين
لحظة ، وهو يختلس النظر إلى الصبايا على
الأسطح عن يمين وشمال ، ثم نفخ في
أرغوته لحنا قصيرا ، ما كاد يفرغ منه حتى
وضع على خده الأيمن كفه وقد أظهر النور
ما يخططها من وشم . وبدأ صابر بموال
جديد فصاح في صوته الممتلئ الجميل قائلا :
« صابر على الجربس الحلو موش دادي »

بسالم فلست إبني . أتمير صابرا بأنه أجير ؟
والله إنه خير من عشرة مثلك

ونظر شبل صامتا إلى أبيه وهو يصعد
السلم ، حتى إذا خلا إلى أمه قال لها في
صوت تخشى أن يجهر به وهي تلوهم
بنظراتها : حتام يعاملني أبي كأني طفل !
ونظرت أمه إلى بدنه النحيل الطويل
ووجهه الشاحب وطاقيته الصغيرة ،
وذكرت كيف كان كالمصفور في يد أبيه
القوية وكيف كانت عمامة أبيه المتخذة من
صوف غرله بيده ترتفع عن هذه الطاقية
شبرين وتبدو كأنها قدر خمس مثلها

وقالت له أمه : ألم أقل لك كفي ذهابا إلى
دار خالتك ؟ أتذهب كل ليلة ؟ هل تخشى
على نعمة أن تطير ؟ متى تصبح عاقلا ؟ لقد
سمعت أنها كثيرا ما تهرب من الدار إذا
كنت هناك معتذرة بأي عذر ، وأنت لا تريد
أن تفهم

امتلاأت الدكة الخشبية أمام دار العرس
شباب القرية ، وجلس نفر من الشيوخ
على المصاطب أمام الدور القريبة ، وقد أضاءت
المصاييح القوية المتدلية من الأعمدة الفضاء
بين هذه الدور . وجلس على الأسطح في
الظلام حشد من النسوة والصبايا ، كن
بن الرجال ولا يكاد هؤلاء يرونهن ، وفي

وانتظر حتى قرت أصوات الاستحسان
فقال «أنا اللي قلبي انكوى لكفى بادارى»
وانطلقت صيحات الشباب وانبتدت
حماستهم ، وانبعثت بعض الرغاريد من
الأسطح . ثم ساد السكون ؛ ونظر السامعون
إلى المبنى الشاب وقد أحسوا أن معانيه
تبعث من قلبه كمهدم به إذ يفنى ، وبلوا
مبلغ تأثره فيما تشككت به أساريه فقد كان
يبدو كأنما أخذته حال عن نفسه ثم صلصل
حلقة بقوله « صابر على النار لا أهلى ولا
دارى — ولا نعيم الصبا يطغى لهيب نارى » :
وما أتم هذا البيت حتى تصاحج الشباب كأنما
طاف بهم طائف من الجنون . فلما سكثوا
عاد الفتى يقول « صابر على النار » وتوقف
قليلا فصاح أحد السامعين وهو رجل عرف
فى القرية بحسن النكتة قائلا « صابر على
النار ؟ لا والله بل على الجنة يا صابر بعد
طول عمر .. وهل يدخل النار من يفنى هذا
الفناء ؟ » وضع السامعون بالضحك حتى
السوة فقد تضاحكن وعلا ضياطهن . وثاب
صابر إلى نفسه فأضاءت وجهه ابتسامة جميلة
وأخذ صابر يفنى وقد ملأ السرور
كل قلب ، ولكن ما راع الناس إلا نكتة
سمجة باردة نطق بها ثقيل أحق فكادت
تفنى إلى معركة بين الشباب وبين قائلها ،
وكان لها من سوء الوقع فى نفوس الناس بقدر ما

كان لتلك النكتة الظريفة السالفة من حسن
الأثر . فعندما وقف صابر عند قوله « ولا
نعيم الصبا » سمع من يقول « نعيم أم نعيمة ؟ »
وتلفت الناس فإذا بسالم هو صاحب النكتة
وأخرج أصحاب العرس ؛ وهم بعض الفتية
بضرب سالم ، وأوشك العرس بذلك أن
يستحيل إلى معركة ، لولا أن ظهر على فدا
سالم ونهره وسرفه فى غضب وتوعد
ونسى صابر ما حدث وعاد يفنى حتى أنه
مواله ، وقد أوشك الليل أن ينتصف
وأقبل عليه أصحاب العرس والسامعون
بحيونه ويثنون عليه قبل أن ينصرفوا
ونادى على صابرا فنحجه جنينا ، وأخذه
صابر فى استحياء وغبطة ، ورأى على و
وجهه شيئا من الانقباض ، فعزاه إلى
ما حدث من سالم فنصححه ألا يهتم بذلك
فحسبه أن الناس جميعا كانوا يعطفون عليه
وحسب سالم ماصبه الناس عليه من سخا
وازدرا .

ومضى صابر إلى داره . ولكن شيئا
آخر كان يقلقه ، فإن نفسه تحدثه أن نعيمة
لم تشهد هذا العرس . وقد التمسها بعينيه
بين الصبايا على الأسطح فلم يجدها ، وما
يذكر أنه تنى فى عرس وغابت عنه ،
وإنها لتحرص أن تجلس على السطح لحظة
أول الأمر بحيث يراها ثم تندس بين

الفتيات ، وإيها لتسرعى انتباهه عند
انصرافها إذا لم يرها أول الليل

وبلغ داره فوجد نبأ ما فعل سالم عند
أمه قد حملته إليها أخته فتحية . وسألته
أمه لماذا يتحرش سالم به وحذرت من شره
وهي تنغمم مغضبة كأنما تحدث نفسها
قائلة : مالنا ولهذا البنت ياباس ؟ أليس ابن
خالها أولى بها ؟

ونظرت فتحية إلى أخيها باسمه ، فقرا
في وجهها ما تريد أن تقول ؛ فددت منه
حتى لا تسمع أمها وقالت : نعمة لم تكن
في الفرح . علمت من صاحباتها أن أباهما
خرج عليها كما طالب منه شبل ابن خالتها

كادت نعمة أن تبلغ الثامنة عشرة من
عمرها . لو رآها من ليس يعرفها لخالها فتاة
رائعة الحسن من بنات العلية في المدن تربت
رى فروية ، فوجهها الأبيض المتورد الجميل
وعيناها الخضراوان المتألقان وشعرها
الأصفر الجزل ، كل أولئك قل أن يتفق
لصية من سيايا الريف . وهي إلى الطول

أقرب منها إلى القصر . وإلى الامتلاء أدنى
منها إلى النجاسة ، بضعة غضة . وإيها
مع ذلك لدقيقة الخصر مستوية القد جميلة
الأنف ، تسرعى الأبهصار يداها
الصغيرتان وقدماتها الدقيقتان ، بقدر
ما يستريحها دلال مشيتها ومرح لفتتها

وجراء نظرتها وسذاجة انسامها . وإيها
لتضحك في شيء من الرعونة وترفع صوتها
الساحر العذب في الحديث حتى ليحسبها
الجاهل أموبا ماحنة ، إذ هي في الواقع محصنة
ليست من المجون في شيء . ولعلها اكتسبت
لون بشرتها ونعومة بدنها وبضاختة وجمال
صوتها ، من أمها ، فلقد كانت لأبها شهرة
بهذا كله أيام صباها ، ولا يزال لها بقية
منه ، أما جمال وجهها ووسامته فن أبيها ؛
فوجهه على الرغم من كهولته ناطق بما كان
من رونق شبابه وقسامة حياه ، وأمسذاجتها
ومرحها فن أبيها معا ، فأبها ضاحكة أبدا
علية الصوت في الضحك والحديث خفيفة
وعذبة ، وأبوها عذب الروح ، يضحك ملء
أنفه متهمة إذا روى نبأ أو ضرب مثلا ،
وهو على قلة ما قسم الله له من رزق وكثره
من يعول من عيال قانع دائما متفائل
لا ينسخط ولا يشكو . . ذلك ما اكتسبته
نعمة من أبيها ، أما خضرة عينيها وصفرة
شعرها فليس يعلم أحد مصدرها

حين بها صار ثم أحبته وشففها حبا
حتى صار حبهما حديث القرية كلها
ومضرب المثل للحب فيها ، فهي حلم شبابه
وأمل عيشه وملهمة أغانيه . وإيها لنزهى
بذلك ولا تنكره إذا داعبتها به صويحباتها
فتضحك ويخفق قلبها ونشيع البهجة

أما أهل صابر ، فأمه لا تميل إليه من أول الأمر مخافة أن يجره ذلك إلى نزاع لا قبل له به مع شبل وأهل شبل . وأبوه لا يلتقي باله إلى ذلك في كثير ولا قليل وكانت نعيمة لا تطيق أن تسمع اسم شبل وما تسي مرح طبعها وصفاء نفسها إلا حين يذكر لها صواحبها أنها سوف تكون له . فتغضب وتتهم أن تعبر بالكلام عن غضبها ثم تمسك عن الكلام في جهد

ولكن ابن خالتها واثق من الظفر بها أو يكاد يثق بذلك ، فأبوها لن يمضي أمرا لأبيه ، وأمها خالته قبل كل شيء ، وأين صابر الذي يعمل حتى في حمل الفحوم الطوب منه وهو ابن رجل ذي سعة في الرزق . وليس ما يقلق شبلا إلا الأستاذ على فلمله بنفوده وجاهه يستطيع أن يحدث شيئا

بكرت نعيمة وأمها بمدأيم إلى دار خالتها يعينانها في خبز طحينها الكثير ، وكان في الدار غيرها بعض نساء اخارة وفتياتها ، كل تعمل عملا يتصل بالخبز وكانت نعيمة على غير عادتها عابسة صامئة ، وبخاصة كلما نظرت إلى فهيمة زوجة ابن خالتها الأكبر حمس ، تلك التي كانت تغضبها ولا تحب أن تراها سلفا لها لطيشها كما اعتادت أن تقول ، وغيره منها كما تقول نعيمة ضاحكة كلما علمت بذلك ، وكأنما

والنشوة في جسمها كله . وإن كثيرا منهن ليحفظن مواويله وبعدها عليها . متذكرهن بعض ما نسينه منها

وكثيرا ما تلقى صابر ولقيته في الحقول على غفلة من الناس ؛ وكثيرا ما تلقى في دار قريبة له هي صالحة بنت أبي العيش ، مع ابنتها زينب . وفي زحمة الأعراس كان يراها ونزاه وتسمع مواويله وتبفطن أكثر من عبرها إلى معانيه ، وكثيرا ما أهدى إليها من النواش والمناديل التي تطرزها زينب على قدر ما تتسع له قروشه . وكان أهل القرية يتمنون أن يصبح له روجا فهم يحبونه ويعجبون به ويعطفون عليه لدمايته واستقامته وبطوانته ، فما عرفت القرية فرعا من حريق أو غرق أو عراك إلا كان صابر في طليعة من يدفعون البلاء في همة وتحمس . ثم إن الناس يعلمون ما في قلب نعيمة من حب له ؛ لذلك أحب أهل القرية أن ترف إليه كأنما روضها خير هدية تهدي إليه ولكن خطيبها هو ابن خالتها شبل سميت عليه منذ طفولتها ، ويريد أبواها وأبواه ألا تكون إلا له ، وليس في جانب صابر من أهلها إلا أخوها محمد فإنه يحب صابرا منذ صغرها ولا يزال على مودته له وإعجابه به ولذلك فهو متحمس لأن ترف أخته إليه

الآن كيف تحمل الطوب والفحم هي الأخرى .
وتضرج وجه نعيمة وازداد نالقي عينها
الخضراوين من الغضب والتحدى الصامت
فبدت كأنها هرة وحشية . ثم سمعتها بعض
الفتيات تغفم قائلة : وأحمل الطين أيضا
لا دخل لأحد بي .

وسمعتها ! أمها فقالت : دعوها --- دعوا
هذه المجنونة التي لا تستأهل النعمة .. ومن
يتراء دار العز هذه إلى --- ماذا أقول وهو
ابن خالها .. عشنا حتى رأينا البنت تخالف
أهلها وتختار لنفسها ؟ ومن يقرها على قلة
حياتها ؟ تنكسر رقبتها .

وظلت نعيمة طول نهارها صامته عابسة
حتى فرغت من عملها فسبقت أمها إلى دارها
وملأ نفسها العجب من خالتها إذ تحتفظ
بتلك الخيوط التي قطعها من ذيل ثوبها

أخذ حديث صابر ونعيمة يملا القربة
بالشائعات ، فالفتيات يتحدثن بأنها قالت
لأمها إنها إذا زفت إلى شبل على رغم أنفها
فسوف لا تعيش معه وإن قتلت . ويتهامس
بعضهن أن حبها لصابر يبعث على الريبة في
أمرها . والفتية يتحدثن بأن سالما يتربص
بصابر ، وأن بعض الناس شهدوا معه منذ
أيام رجلا غريبا فظيع المنظر من الشاطئ
الغربي أو بر البحيرة كما يقولون ، وقال

أغرى صمت نعيمة وعبوسها الفتيات بها فرحن
بما كسبها . قالت إحداهن لخالتها : متى
يعقد عقد نعيمة على شبل ؟

فضحكت خالتها قائلة : حالا بعد أن
تخضر الأرض . وضحك كل من في الدار
إلا نعيمة فما ازدادت إلا عبوسا وتبرما .
وكرهت أمها ذلك منها فلامتها أول الأمر
بنظراتها . ثم ما لبثت أن وجهت إليها سبلا
من ألفاظ السباب التي تجري بها السن
النسوة في القرية وقالت : هل تستأهله ؟
إن ظفرد بألف مثلك .

ولم تنفرج شفتا نعيمة عن كلمة أو ابتسامة ،
وهي التي كانت ترى مرحلة أبدا . ترفع
صوتها بالضحك وتضحك كل من حولها .
ودنت منها خالتها وتناولت ذيل ثوبها . وقد
بدلت منه خيوط كأنها الأهداب الطويلة
مقطعها مخافة أن تعثر بسببها ابنة أختها كما
قالت ، ونظرت نعيمة فوجدت خالتها تحتفظ
بهذه الخيوط في يدها فدهشت وقطبت
باصفر وجهها قليلا

ودخل شبل الدار وقد ارتفع الضحى
مدفع حماره أمامه وقد جاء به من الحقل
ليحمل عليه علفا وطعاما . وضحكت بعض
الفتيات وسألته إحداهن لم لا يجي عروسه ؟
فضحكت أولا ثم ما لبث أن عبس وأشاح
بوجهه قائلا : عروسي ؟ عليها أن تتعلم من

أبي ؟ . وصرخت فتحية باكية وأخذتها
أمها بين يديها وهي تبكي قائلة : حسبي الله
يا ولدي على من يريدك بسوء ... يارب
أنت موجود .

ويعجب الناس إذ يرون صابرا وقد أخذ
يشحب لونه ويضمر بدنه ! وقد ذهبوا مذاهب
شتى في تعليل ذلك . فقال بعضهم إنه الحزن
ولوعته ، فقد حجبت نعيمة في دارها ولم يعد
يراه . وقال آخرون بل إنه الخوف من سام
وما يبيت له من غدر . وقال غير هؤلاء كلا
بل إنه المرض . فقد شاهدوه أكثر من
مرة منذ بضعة أيام يضع يده على جنبه ويتأوه
أثناء العمل . وهو الذي لم يكن يعرف
قبل ذلك ألما .

ويفال بدنه القوى مابات يطرا عليه مما
يشبه العلة ، فيبدو أحيانا أنضر ما يكون
وجها وأحسن ما يكون عافية ؛ ويتراءى
أحيانا وفي وجهه سهوم وشحوب ، وفي
مشيته تخرج ، وفي عينيه ألم ، ولقد رآه إحدى
النسوة ذات مرة وهو على هذه الحال فهمست
تقول لصاحبتها : وا كبدي ... لقد أخذت
الكتابة تفعل فعلها فيه ... منهم لله القوى ..
واعيني على شبابك يا صابر . كان الله في عون
أمه المسكينة ... من لها بعده غير الله .

صالحة زوجة أبي العيش أرملة تقيم هي

بعض النسوة إنهن شاهدين بأعينهن شيئا
معهما بمهمة خضراء يحرق البخور في دار أم
شبل وذلك في غيبة زوجها وبنيها ، وتها من
أنه كتب لصابر بما يحمله يرزح كاليت ، وأن
نعيمة سوف لا تطيق أن تسمع اسمه ،
وسوف تحب شيلا بقدر ما كانت تحب صابرا .
وقال غير هؤلاء إن سالم هو الذي يأخذ
المال من أم شبل ليعطيه لرجل يستحضر
الجن ، وقد رأى زوجها سالما في الدار مرة فقال
له لولا أنك في داري لحطمت رأسك وطردته
ثم انبهال على ابنه ضربا حتى ما استطاع
الرجال أن ينقذوه منه إلا في جهد ، وهم
زوجته ليضربها خال بينه وبينها أهل الحارة
وكان الأستاذ على قد سافر فعلم بعض
الفتية سفره بأنه أراد أن يعتمد عن القرية
ربما يدبر العمدة مكيدة يزج بها سالما في
السجن حتى لا يذكر اسم على إن عرف أمر
هذه المكيدة

وسألت فتحية أمها ذات يوم قائلة :
هل تنفع الكتابة فيمجز صابر أخى ويرزح
وهو لم يؤذ أحدا ؟

فقلت أمها : أية كتابة ؟ وما مناسبة
هذا السؤال يا بتي ؟

فقلت فتحية : أم شبل كتبت لأخى
والنبي يأمى ... والنبي اكتبى له حجبا ...
أيرزح صابر أخى ؟ ومن يطعمنا ومن يساعد

وابنتها زينب البالغة من العمر أربعة عشر عاماً في دار لها منعزلة في الطرف البحري للقرية؛ بينها وبين الدور في هذه الجهة نحو مدانين من الأرض الزراعية الخالية من المباني، وبينها وبين الطريق الزراعي العام نحو ثلاثين متراً، وتكاد تحجب وجهتها عن المارين بهذا الطريق شجرة توت كبيرة تقوم على مقربة من بابها ... ولهذا الأرملة غير ابنتها زينب ابن يعمل خادماً في إحدى المدارس بعاصمة الإقليم، ولا تكاد تراه إلا حين يزورها مرة كل شهرين أو ثلاثة.

وبين صالحة وصابر صلة رحم بعيدة من ناحية أخواله الذين طواهم الموت. وكانت نعيمة صديقة لزينب، وكثيراً ما لقيها صابر في دار زينب إذ يسمى إليها بحجة أنه ينوب عند قرييته عن ابنها النائب. وكان صابر يلم بدار قرييته هذه من حين إلى حين لأنه في طريقه إليها يمر بدار نعيمة فيتواعدان بنظراتهما على الالتقاء أو يكتفي بأنه ينعمش روحه بنظرة منها وبخاصة إذا غابت عن عينيه يوماً أو يومين. ولكن صابراً لا يلم اليوم بدار قرييته وفي القرية ما فيها من حديث وحديث شبل.

وجاءت زينب ذات يوم إلى صابر تنبئه أن أمها تريد أن تراه في دارها عقب المغرب وترجو منه ألا يتخلف أو يتأخر.

فلما غربت الشمس، أخذت صالحة ترقب قدوم صابر أمام دارها، حتى إذا غاب الشفق رآته مقبلاً. فلما ألقى إليها التحية قالت وهي بين التبرم من تأخره والارتياح لمجيئه: أدخل فأنظر من بالدار. فدخل صابر دهشاً وإن أحس قلبه ماذا تريد صالحة بمبارتها، ونظر فإذا نعيمة بالدار تجلس مع زينب على حصير فلم يسكد بصدق عيذه ولم يدر أول الأمر ماذا يقول وكادت نخوته قوته، ودخلت في إثره صالحة فقالت: جاءت نعيمة تأخذ مناديلها من ابنتي وقد طرزتها كما أرادت. وابتسمت نعيمة متظاهرة بالوافقة، وفي لمح عينيها أنها جاءت لترى صابراً حيث طلبت أن تراه.

وسلم صابر فردت زينب تحيته وغنمت نعيمة. ثم مضت زينب لتعد الشاي، وانصرفت أمها إلى خارج الدار فقال صابر: نعيمة.. كيف أرد لك هذا الجميل؟ لقد ضاقت بي الدنيا لغيابك عنى.. كفاي جميلك هذا ولو مت غدا لخرجت من الدنيا مستريح البال... لقد سمعت أنهم ححبوك، وكنت أفضى الليالي ساهراً اتساءل كيف أراك.. كيف أرد لك هذا الجميل يا نعيمة؟

وأخذت نعيمة تنكت التراب بمود قصير من القطن في يدها. وارتاع صابر لما رآه من هم في وجهها فأمسك بيدها الغضة

برونه في عمل أو يسمونه في عرس . وقال
أحدهم ذات مساء لصاحب له : يا أخى ، يظهر
أن السحر والكتابة لها أثرهما ! فهذا صابر
الذى كان يبتلى كالسكر قد برك ... أليس
في قلوب هؤلاء الناس رحمة ؟

فقال صاحبه : ما الكتابة ؟ وما السحر ؟
هذا كله كلام فارغ ... صابر يشكو من
جنبه في مثل هذه الأيام من كل عام ، وذلك
منذ أكثر من سنتين ، ولكنه لم يهتم
لقوته وعافيته ؛ ولأن الألم كان لا يمتكئ إلا
بضع ساعات . وقد رأيته منذ أيام وقد ترك
الطبيبور في الختل وعاد إلى القرية يلمث ويده
على جنبه وهو يكتم ألمه ويغالب مرضه ؛ وقد
سأله فقال إن مرض جنبه اشتد عليه .
والحقيقة أنه لو كان هذا المرض في جسم
غير جسم صابر لهدده من زمن ؛ ولكنه كان
يتكل على عافيته ولا يبالي ولا يعالج نفسه !
أما السحر وغيره فخرافات نساء .. وقد سألت
الواعظ عنها فقال هذا جهل ووهم ولا يصح
أن تصدقه . وما دخل السحر في أن يقول
صابر الدم والصدید ؟ فقد حدثني محمد
شحاته أخو نعيمة أنه رأى في بوله كثيرا
من الدم

وذهب الفتيان إلى دار صابر ليعوداه
فوجداه فيها كثيرا من صحابته وسرا إذ
رأياه معافى لولا شحوب في وجهه وضهور

الجميلة ووضعها بين كفيه القويتين وسألها
ما بك يا نعيمة ؟ فرقت إليه عينيها الجميلتين
قائلة : احذر من سالم يا صابر . ألم تفكر
في أن تلبس حجابا يحميك ؟

فضحك صابر قائلا : صدقنى . أنا لأعيا
سالم هذا ولا بعشرة من أمثاله ، وما هو إلا
دجال يحتمل على ابن خالك لا غير ، وأنا أفهم
الأعيه . أما الحجاب والكتابة فكأها كلام
فارغ لأصدقه ، وما دمت لى يا نعيمة فلا أبالي
بشيء . ثم ضغط على يدها قائلا : لن أعيش
يوما واحدا يا نعيمة إذا صرت لنيرى .

وحملت نعيمة لحظة في وجهه ، ثم انحدرت
دمعان على خديها ولم نجب . وأطلق يدها
فأدخلتها في جيبها وأخرجت منه حجابا
وناولته إياه مبتسمة ؛ فأخذته ودسه في جيبه
ضاحكا وهو يقول : سيكون حجابك أغلى
عندى من كل شيء ، وسبحمى فلن أخاف !
وشكرته بنظرة ثم قالت : عشت يا صابر ،
وأنت ... أنت أغلى عندى من عبنى

وهم صابر بأن يأخذها بين ذراعيه ،
ولكن زينب أقبلت بالشئى . ونهضت
نعيمة ممجلة إلى دارها ممتدرة بأنها تأخرت
ووضعت يدها المرتمة في يد صابر مسلة
ثم تلثمت بطرحها وغادرت الدار بسرعة

غاب صابر عن رفاقه أياما فلم يعودوا

جودة زوجها قادم من القهوة وقد تقدم الليل ، فأخذ الفتية بنصرفون إلى دورهم ولما خلت الدار منهم نظر الرجل إلى ابنه قائلا « الحمد لله يا صابر على شفائك .. الدار من يوم أن رقدت يا ابني وكأنها خراب ، والقيراطان إن لم تشارك الذرة فيهما يمرض ربنا علينا »

فقال صابر « لا تخف يا أبى فسأدفع عن السماء حين أقبض بعض الأجر المتأخر لى عند عمر البناء وغيره .. وستصبح الذرة بإذن الله أحسن ذرع فى البلدة »

امتلات منظره الحاج عثمان بدر عصر ذات يوم بنفر من أقاربه وأصحابه وجيرانه حتى لم يبق مكان خل على دكة من دكها الخشبية التى تدبر بجدرها وكان شحاته ... الخولى فى ركن منها قريبا من الحاج عثمان . وكان شبل وابن خالته محمد شحاته يجلسان على مصطبة خارج المنطرة تحت نافذة من نوافذها

وبعد أن شرب الضيوف القهوة قال الحاج عثمان يخاطب شحاته « لم تقل لنا يا شحاته متى تبت فى هذه المسألة . متى تذهب إلى دارك لتخطب البنت نعيمة لابن خالها ؟ أردت أن أكلك أمام أسيادنا

قليل فى بدنه . وكان رفاقه يدبرون (الجوزة) بينهم ويدخنون المسسل ويضحكون فرحا بشفائه ، وكانت فتحية تريد النار فى الكانون تحت قدر كانت كلما فرغت ملأوها عا أحضروه معهم من الشاى وشربوه أسود كاللداد . وشرب صابر من هذا الشاى وقدمت له (الجوزة) وراح أحد الفتية يقلده وهو يغنى ولكن فى صوت أشبه بتمعاب الغراب شد ما ضحك منه هؤلاء .

السامرون الذين أفرحهم شفاء صابر وجاءت أمه حسونة بوعاء فيه ماء ونار فألقت فيه بالملح وأدارته فوق رؤوس الفتية ، وهى تدعو أن يصيب الملح إذ يتطار عين الحسود وعين من لا يصلى على النبي

وكان محمد شحاته أكثر الفتية فرحا بشفاء صابر ، فأخذ الوعاء من أمه وأداره ضاحكا عدة مرات حول صابر ، وهو يقول مشيرا إلى ذلك الفتى الذى كان يقلد غناؤه « سيفنى لك هذا ليلة زفافك يا صابر ليملم الناس أن فى القرية من يفوفك » وقال بعض الفتية « ستكون ليلة فرح صابر فرح البلدة كلها » وأشار أحدهم إلى عجلته فى العريشة وقال « صارت العجلة تساوى متقدار المهر يا صابر » وقال آخر « لا .. مهر نعيمة أعظم من هذا .. إنها تساوى قدر وزنها من الذهب » ونظرت حسونة ماذا

العُزْبَةُ الزَّرْقَاءُ

للمصطفى الفرنسي بروديير

بقلم الأستاذ محمد عبد الفتاح محمد

التجار .. وكان الشاب ذو النظارة الزرقاء يحس بقلبه يضطرب بين جنبيه حين يرى مخلوها يدخل أو عربة تقف بالباب . بل إن ركبته كانتا ترتعدان . وقد لا يكون من الغلاة إذا قلت إن الحتمية كانت للمهفته تسقط من يده وتنحدر النظارة على طول أنفه ، فتبدو للعاين أو رآها هكذا أنها في وضع مهمل لا أقل ولا أكثر

وأخيرا دخلت امرأة مجللة بالسواد من باب جاسي لا يفري عرافته ، وعلى وجهها نقاب صفيق ، وتحمل في يدها حتمية بنية اللون تحتسوي — كما عرفت بعد — على روبري راعي رافع وخفين من حرير الساتان الأزرق

دنت المرأة من الشاب ودنا منها . وتناقتا ذات الدين وذات الشمال ؛ ونظرا ماشاءا أن ينظرا أمامهما إلى أن التقيا فتصالحا . غير أنهما نلبشا بصع دقائق دون أن ينطقا بحرف ، وكان حسداهما يختلجان لما يستطخ في صدريهما من الفعل .. انفعال أحتاج لكي أصفه إلى دراسة علم النفس مائة عام سويا

انطلق الشاب يذرع رصيف المحطة في قلق واضطراب . كان يضع على عينيه نظارة زرقاء . وكان يخفي أنفه بمتدبل برغم أنه لم يكن يشكو الزكام . وكان يحمل بيده اليسرى حتمية سوداء صغيرة ، تحتوى — كما علمت بعد — على « روب دي شامبر » من الحرير الأزرق وبعض السراويل التركية .. وكان بين الحين والحين يذهب إلى مدخل المحطة فيلقي على الشارع نظرة يقي بعدها إلى مكانه . وأخيرا نظر في ساعته فوجد أن أمامه ساعة كاملة على بدء تحرك القطار . وهكذا نرى بعض الناس ، حرصا على اللحاق بالقطار يذهبون إلى المحطة قبل الموعد بساعة أو يزيد ، على حين تراهم في بيوتهم يحترمون مواعيد طعام الغدا . احتراما شديدا ! وكانت مركبات الدرجة الأولى شبه خالية . فقلما وجد الإقبال على ركوب الدرجة الأولى

وحين أخذ الركاب يتقاطرون على المحطة ، أدرك الباريسي الأبيض ، من مجرد استعراض وجوههم ، أنهم من الفلاحين وصغار

وهتفت الشابة قائلة : ليون !

.. آه .. نسيت أن أذكر أنها كانت

فيانة الشباب، رائعة الحسن

— ليون ! ما أشد سعادتي باليون ! آه !

هذه النظارة الزرقاء ! لم أكأ أعرفك بها

فقال : وأنا يا حياتي كدت لأعرفك بهذا

القميص الصغير

فقلت : إنني نشوي من الفرح .. هلم إلى مكاننا

في القطار .. ماذا لو برح القطار من دوننا ؟

ثم ضغطت على ذراعها قائلة : لن ندبر كل شيء

تدبيراً حسناً .. إنني الآن مع كلارا وزوجها

في سبيلنا إلى عزبتهما حيث أقضى معهما

ليلة أبرح في صباحها .. و ...

وضحكت ثم قنعت رأسها وقالت :

ولقد خرجت مع كلارا منذ ساعة .

وفي الغد بعد أن أبيت معها الليلة الأخيرة ،

وضغطت على ذراعها مرة أخرى ،

ستسحبني كلارا إلى المحطة حيث أجد

« أرسول » الذي أرسله إلى عمتي .. أرايت

كيف دبرت الأمر فأحكمت تدبيره ؟ هلم إلى

شراء التذاكر .. محال أن يكتشفوا أمرنا .

ولكن يا لله ! .. بماذا يجيب لو سئلنا عن

اسمينا . لقد قاتني هذا

فقال : ليكن اسمانا « مسيو ومدام دورو »

فقلت : لا ... غير هذا الاسم ، ففي حيننا

بائع أحذية بهذا الاسم

قال : إذن « دومون » أيعجبك ؟

فغممت : دومون !

فقال : على حال كل ، لا تراعى ، فلن

يسألونا عن شيء

ودق الجرس ، فاندفعت المرأة بقناعها

المسدل على وجهها إلى إحدى العربات ومعها

صاحبها . وعندما دق الجرس دقته الثانية ،

أغلق عليهما جمال باب الدبوان فتهافتا جذا

— وحدنا أخيراً !

ولكن بعد لحظة ، اقتحم عليهما الدبوان

رجل في الخمسين من العمر في رداء أسود ،

عابس الوجه ، مقطب الجبين ، وانزوى

جالساً في الركن القصي ... ودوى صفير

القطار ، وبدأ يتحرك . وكأنا ضاقت بهما هذا

المقتحم الثقيل ، إذ ابتعدا عنه ما وسعهما ،

وأخذا يتهاوسان بالإنجليزية درءاً للشبهات

— سيدى !

انطلقت هذه اللفظة من الركب الثالث

بالإنجليزية أيضاً ، ولكن في لهجة أسلم من

لهجتهم :

ثم قال : إذا كان حديثكما مما تحرصان على

كتمانها فاستعملا لغة غير الإنجليزية فأنا

إنجليزي الجنس . وبمسد فمذرة لاقتحامي

الدبوان عليكما . إذ كنت في العربة الأخرى .

وكان بها رجل واحد ، ولا أحشى أكثر

من السفر في عربة مع رجل واحد . لقد

حالة من السعادة والابتهاج حتى لترى أن
السجن مع ليون هو جنات المعيم
وأخذ النظار سبيله لا يابى على شئ .
واستغرق الإنجليزي في قراءة كتابه دون
أن يحفل بالنظر إلى رفيقه في السفر اللذين
انطلقا يتساجيان في همس هو أسلوب العاشقين
منذ القدم . وقد لا أثير دهشة في نفس
القارى إذا قلت إنهما كانا عاشقين هارين .
أما ما بيعت على الدهشة حقاً والاستكار ،
فهو أنهما لم يتزوجا ولا حتى أزمعا الزواج
استسلاماً منهما للعقبات التي تترص ذواحمها
وبلغوا طيئهم . وكان الإنجليزي هو أول
من غادر المنار ، وبما كان ليون يساعد
حبيبته على النزول الدفع من عربة بجاورة
رجل هبط إلى الرصيف . كان صاحب الوجه
ذاعين غاربتين ينبعث منهما الشر ، وذقن
مدببة . كان مظهره مظهر رجل مجرم فطرته ،
وكانت ثيابه نظيفة تماشاها البلى . وكان معطفه
أسود اللون برما ما ؛ أما الآن فقد أصبح
أخضر داكناً على الكتفين والظهر . وقد
ضمه إلى عنقه وربما كان ذلك ليحفي سترته
المعتيقة البالية . وقد تقدم إلى الرجل الإنجليزي
وهتف في لوعة : عماء !

— فراح به الكهل الإنجليزي وعينه

تتقدأ غيباً

— اغرب عن وجهي أيها الشقي

كان الغدر والشر تلمع بهما عيناه . ولعله قد
سال لعابه حيناً رأى هذه

ثم أشار إلى حقيبتته التي كان قد ألقى بها
على المقعد أمامه . وأردف الرجل :

— أما إذا لم أستطع النوم ، فلسوف أقرأ
وأخرج من الحقيبة غطاء لرأسه ثم أغلق
عينيه لبضع دقائق ، بيد أنه فتحهما في تهرم
وأخرج من الحقيبة نظارة وكتاباً لاتينياً ،
ثم استغرق في قراءته . وقد حدث بينا كان
يبحث عن الكتاب أن قلب محتويات
الحقيبة ، وأخرج بعضها إلى المقعد ، وكان من
بينها حزمة من أوراق النقد الإنجليزي . وقبل
أن يعيدها إلى الحقيبة ، أرى الشاب إياها
وسأله عما إذا كان يستطيع تحويل هذه الأوراق
إلى عملة فرنسية

فأجاب : أظنك تستطيع ذلك في مدينة
(إنجلند) وكانت إنجلند هي المدينة التي يقصدها
الشابان . وكان بها فندق صغير ، ولكنه
نظيف أنيق . وكان غالباً ما يكدظ بالزلاء
وبخاصة في عطلة الأسبوع . وكانت غرفه
نظيفة نسبياً . فلا يكن أن تقارن طبعاً
بين فندق إنجلند وأحد فنادق باريس . وكان
ليون قد زار الفندق قبل هذا ولكن بدون
نظارة زرقاء . وبعد أن أشاد بالفندق من
حيث الموقع والنظافة والخدمة ، تلهفت
حبيبته إلى زيارته . هذا إلى أنها كانت في

ثم هرول يبنى الخروج . فقال الشاب
في لحظة تجمع بين اليأس والتهديد
— لا تدفعني إلى هاوية اليأس

فقال الإنجليزي لليون : ارفع بنظرك هذه
الحقيقية ثم ألق بالحقيقية عند قدميه ، وقبض
على ذراع الشاب الذي اعترضه واتحى به
ركبنا مهملًا ونهره في خشونة ثم أخرج
من جيبه بعض الأوراق المالية ودسها في يده
فأخذها دون أن يعنى بشكره وفارقه
ثم اختفى

وكان بالمدينة فندق واحد . إذن فلا عجب
أن اجتمع أشخاص هذه القصة مرة
أخرى بعد بضعة دقائق . وفي فرنسا
تكون أجمل غرفة في الفندق عادة من
نصيب الرجل الذي يتأبط ذراع امرأة أنيقة .
مما يدل على أننا أرق شعوب أوروبا جمعاء

وإذا كانت الغرفة التي أعدت لليون
وصاحبته هي أحسن غرفة في الفندق ، فعلينا
إذن أن نصدق أنها كانت حقا غرفة فاخرة .
كان بها سرير خشبي كبير ، وعلى نوافذها
استار من الخمél نقش عليها بلون بنفسجي
أسطورية « بيراموس وتيس » أما الجدران
فكانت مكسوة بورق بلون رسم عليه
أحد مناظر مدينة نابولي ، وتناثرت عليها
رسوم ووجوه مختلفة ، عمد بعض الزلاء
الماجنين إلى تشويشها بإضاعة رسم الشوارب

والعلايين إليها ، سواء في ذلك وجوه الرجال
أو النساء . هذا إلى جمل حتماء كتبت بالقلم
الرصاص على موضع السماء والماء في
الرسم . وعلى أحد الجدران كان ثمة نقوش
أخرى تمثل بعض الأحداث التاريخية مثل
لويس فيليب وهو يحلف اليمين في ٢٦
أغسطس سنة ١٨٣٠ ، وبمثل اللقاء الأول
بين جوليا وبين القديس بربيه ... إلى غير
ذلك ... وكانت الغرفة مشهورة باسم الغرفة
الزرقاء ، ذلك لأن المغمدين الكثيرين بها
الذين يحفان بالوقد ، كانوا مكسوين بقطيفة
هولندية من ذلك اللون ، بيد أن اللون اختفى
منذ بعيد تحت كسوة جديدة رمادية اللون
لامعة يتناثر عليها تطريز على هيئة ورود
ملونة صنوفها مختلفة الأصناف

وترك ليون حبيبته تعنى خادمة الغرفة
بشؤونها ، وذهب إلى المتصف ليوصي بإعداد
طعام المشاء ، وكان يحس ضيقا رغم وجوده
في جو مشبع بروح الحب الندي وأنسام الهوى
العاطرة . وكان عليه أن يبذل جهدا في إقناع
أولى الشأن في الفندق كيما يمدوا له عشاء
خاصا . بل كان عليه أن يلجأ إلى الرشوة
لبلوغ قصده ولكنه دهش حين وجد أن
ذلك سهل ميسور دون حاجة إلى قوة
إقناع ، أو مال . فقد قيل له إن مأدبة
الفندق العامة الملائمة للغرفة الزرقاء مشغولة

الليلة بفرقة ضباط الفرسان الثلاثة التي كانت ماضية لتحل محل فرقة الضباط المشاة ومعنى هذا أن الطعام الجيد سيتوفر الليلة في الفندق لهذه المناسبة.

وقد أقسم صاحب الفندق بأغلاظ الأيمان أن هؤلاء الضباط من بين جنود فرنسا أجمعين، يتمازون بأخلاق كريمة، وأن تصرفاتهم لا تدفع إلى الشكوى ولا الامتناع. وأكد لهم أن يزعجوا السيدة وصاحبها بوجودهم على مقربة من غرفتهما، هذا ولو أنهم لا ينتهون من العشاء إلا قبيل منتصف الليل.

واهتم ليون لهذا الأمر وحسب حسابه. ورأى من الأحداث كذلك، أن الرجل الإنجليزي نزل بالفرقة الملاصقة لغرفته. وكانت الغرفة مفتوحة في أثناء مروره بها، فرأى خلال بابها السكهل الإنجليزي جالسا إلى مائدة صغيرة عليها زجاجة من خمر وكأس مترعة، وقد علق بصره في ستمف الحجره في استغراق واهتمام كأنما كان يحصى عدد الذباب الذي كان يتوالب عليه ويحوم حوله. وقال ليون يحدث نفسه :

وماذا يهمنا أن يكون أى صنف من الناس جارا لنا ؟ سيستغرق الإنجليزي في سكره بعد قليل، أما عن الضباط فليسوف يرحلون قبل منتصف الليل.

وكان أول شئ فعله ليون حين عاد إلى

الغرفة الزرقاء، أن اختبر الأبواب. كان الباب الذي يفصل بينه وبين الإنجليزي من خشب سميك كما كان الجدار سميكاً أيضاً. أما الباب الموصل إلى مائدة الضباط فقد كان من خشب دقيق ولكنه كان على أية حال ذار تاج ومفتاح. على كل حال كانت خلوتهما أمنع للفضول والتطفل من خلوة في غرفة كل ما فيها من حواجز ستائر مسدلة. وبعد فكم من المشاق من يزعم حين يختل في غرفة أنه ابتعد عن أعين الدنيا بأسرها !

وأى خيال شاعر مهما أوتى من قوة التعبير، يستطيع أن يصور تلك السعادة التي يختلج بها قلبا عاشقين صغيرين التقيا بعد طول بقاء. وأى لقاء ! لقاء في خلوة آمنة بعيدين عن أعين العواذل والرقباء والفضوليين يطرحان متاعبهما ويتفشان عن أشواقهما وينعمان بهوى ضارم مشبوب. ولكن كثيرا ما ينهاس الشيطان بعض الأحباب ليصب بضغ قطرات من العلقم في كأس السعادة ذات الخدر الحالم اللذيذ. إذ حدث أنه بينما كان ليون ومالكه قنينة يتناولان عشاء متواضعا لذيذا توفرهما أعد للضيافة، إذ امتعضا وتقرزا مما اشتمل عليه حديث السادة في غرفة المائدة المجاورة من كلمات مكشوفة وألفاظ نابية. كانت أحاديثهم بعيدة كل البعد عن الممارك الحربية

والخطط الاستراتيجية .. ولعل لا أستطيع أن أزجي للقارىء الفاضل مثلاً من هذه الألفاظ . وكانت الضحكات الصاخبة تنفجر من حناجرهم بين الحين والحين . وكم أزعجتهم هذه الضحكات .. ولم تكن صاحبتها من ذوات المزاج الحاد ، وإنما هناك أشياء تزعج المرأة سماعها وبخاصة إذا كانت مع الرجل الذى تهواه . وصارت الحال لا تطاق . وحين بدأ الضباط يتناولون الحلى ، كان ليون فى سبيله إلى صاحب الفندق يرجو منه أن يطلب إلى هؤلاء السادة أن يكفوا عن إحداث كل هذه الجلبة وأن لا يسرفوا فى مجونهم الفاضح تالطفاً منهم لوجود سيدة مريضة فى الغرفة المجاورة

وحار صاحب الفندق — كما هى عادة أمثاله إزاء ضباط الجيش — كيف ينقل إليهم هذه الرسالة . وما كاد ليون ينتهى من زجائه ، حتى أقبل نادل يطلب زجاجة شيمانيا للضباط ، وخادمة أخرى تطلب زجاجة من النبيذ البرتغالى للسكريل الإنجليزى ثم أضافت الخادمة :

علما بأننى قلت له إنه ليس لدينا خمر برتغالية . فقال صاحب الفندق معنفاً إياها : — يالك من حمقاء ! مالك ولهذا . أهى معضلة أن تصنع خمرًا برتغالية فى فرنسا .. سأمزج له سريعاً زجاجة كأنها آنية لفورها

من البرتغال

وبعد أن مزج الرجل الخمر المطلوبة ؛ ذهب إلى الضباط يبلغهم رسالة ليون وهبت بين الضباط عاصفة حين سمعوا مقالة الرجل ، وانشق من بينهم صوت آمر ساد الصمت على أثره ونساءل هذا الصوت أى صنف من السيدات هذه الجارة المريضة . فقال صاحب الفندق :

— تموا يا سادة أنها جدة فانتة ، كما أنها خيجولة كزنبقة طاهرة ، ولقد أنبأنى مارى جان أنها تضع فى بنصرها خاتم زواج ، لذا أعتقد أنها عروس جاءت مع عريسها لقضاء شهر العسل هنا كدأبهن دائماً فانفجر أربعمون صوتاً تهتف :

— عروس ! لا بد أن تنضم إلينا وتشرب معنا . سنشرب جميعاً بنخب العروس الحسنة . وسوف نعلم زوجها كيف يتصرف معها وارتفعت أصوات الضباط تحمسا للرأى المقترح . فارتعد العاشقان حسبانا منهما أن الضباط سيقترحون عليهما الغرفة . ولكن عاد الصوت الأمر يزجرهم . أمرهم بالصمت ثم حادهم فى همس لم يصل إلى آذان من فى الغرفة الزرقاء . لقد اقترح عليهم وسيلة أخرى للتسلية ، لم يثوروا لها فرحاً ، وإنما تقبلوها فى تقدير وإعجاب على أثر ذلك ساد صمت شامل ، وحده

صاحبا العاشقان للصوت الأمر صليعه .
 ويداء ينعمان بهمسات العشق ونجوى الغرام .
 بيد أن نصب السفر وذلك الأثر الذي تركه
 عبث الضباط في نفسيهما ، لم ينجابا عنهما
 إلا بعد فترة طالت على عاشقين . وإن اثنين
 في مثل سنهما الشابة الزاخرة ، لا يجدان
 كبير مشقة في التخلص من متاعب تتحالف
 على هارين في الهوى ، وسرعان ما أوغل
 كل منهما في الاستمتاع بوقته واغتنام
 لقلة ساعته

وحيل إليهما أن ما يخشيانه من الضباط
 قد انجاب وانجلى . ولكن ما كان هذا
 مع الأسف إلا هدنة قصيرة إذ حدث في تلك
 اللحظة المرموقة ، تلك اللحظة التي كانا
 خلقان فيها في آفاق من السعادة المطلقة
 أن تفجر صوت أربعة وعشرين بوقا
 مصحوبة بأصوات أخرى من آلات
 نحاسية في شيد مشهور بين الفرنسيين
 هو «النصر لنا» وكيف يطبق أى مخلوق
 مهما أولى من قوة الاحتمال ، مثل هذه
 الحيلة المادرة

وانقلب العاشقان المسكينان إلى حالة
 يدعو إلى الرثاء ،
 ولكن . . . كان ما أعقب ذلك أدهى
 وأمر . . . إذ خرج الضباط في النهاية من
 عربة المائدة وتماطروا مرورهم بخطواتهم

المنظمة والمريحة أيضا ، حتى إذا وصل كل
 منهم إلى باب الغرفة الزرقاء صاح بأعلى
 صوته : « طابت ليلتك أيتها العروس »
 والآن . . . اختفت الجلبة وعم الصمت . .
 لا . عفواً فقد أخطأت . . . إذ خرج الإنجليزي
 إلى الردهة وصرخ قائلاً : « يا ساقى ! إلى
 بحاجة من هذا الشراب البرتغالي المدهش ! »
 وأخيراً ، ساد الهدوء في الردهة الصغيرة .
 وكان الليل في روعة وسحر وجلال ، وكانت
 الأنسام تهب طربة ندية فنشير كوامن الشوق
 والحنين ، وكان القمر الزاهر يضئ
 على السكون تورا فضيا ساجيا يوحى بالشعر
 ويبعث الأحلام . . آه ! وعلى ذكر القمر ،
 لا يذكر التاريخ متى بدأ هيام العشاق
 بالتطلع إلى القمر وبالتغنى بقصوه القمر . . .
 فتح ليون وصاحبته الفافذة وكانت
 تطل على حديقة صغيرة واستقبلا نساءهم
 الليل الفواحة بعطر الأزهار المحملة بترانيم
 الطييار . ولم يطل بهما الوقوف في الفافذة .
 كان في الحديقة رجل مقنع الرأس بمقعد
 ذراعيه على صدره ، وبين شففيه سيجار
 مشعل . وقد عرف فيه ليون ابن أخى
 الإنجليزي أولوع بالخمر البرتغالية الجيدة
 إننى أكره ذكر التفاصيل كلها ؛ كما أنه
 ليس مفروضا على أن أذكر للتسارى كل
 صغيرة وكبيرة تحدث في الفندق . . . إذن

صاحبا العاشقان للصوت الأمر صليعه .
 ويداء ينعمان بهمسات العشق ونجوى الغرام .
 بيد أن نصب السفر وذلك الأثر الذي تركه
 عبث الضباط في نفسيهما ، لم ينجابا عنهما
 إلا بعد فترة طالت على عاشقين . وإن اثنين
 في مثل سنهما الشابة الزاخرة ، لا يجدان
 كبير مشقة في التخلص من متاعب تتحالف
 على هارين في الهوى ، وسرعان ما أوغل
 كل منهما في الاستمتاع بوقته واغتنام
 لقلة ساعته

وحيل إليهما أن ما يخشيانه من الضباط
 قد انجاب وانجلى . ولكن ما كان هذا
 مع الأسف إلا هدنة قصيرة إذ حدث في تلك
 اللحظة المرموقة ، تلك اللحظة التي كانا
 خلقان فيها في آفاق من السعادة المطلقة
 أن تفجر صوت أربعة وعشرين بوقا
 مصحوبة بأصوات أخرى من آلات
 نحاسية في شيد مشهور بين الفرنسيين
 هو «النصر لنا» وكيف يطبق أى مخلوق
 مهما أولى من قوة الاحتمال ، مثل هذه
 الحيلة المادرة

وانقلب العاشقان المسكينان إلى حالة
 يدعو إلى الرثاء ،

ولكن . . . كان ما أعقب ذلك أدهى
 وأمر . . . إذ خرج الضباط في النهاية من
 عربة المائدة وتماطروا مرورهم بخطواتهم

حسبي أن أقول إن الشمعة الموقدة والمثبتة على رف الموقد في الغرفة الزرقاء ، كانت قد أوشكت على نهايتها حين انفجر من مخدع الرجل الإنجليزي الذي كان يشتمله الصمت حتى الآن ، صوت جلبة شديدة ثم صرخة مكتومة وبضع كلمات مبهمه كأنها سباب ولستائم

واستولى الفزع على الشابين في الغرفة الزرقاء ، ولعل صوت السقوط كان قد أيقظهما من النوم ؛ إذ أن هذه الجلبة المجهولة قد كست وجهيهما بالحنق والسيخط على حظهما التمس . وتكلف ليون ابتسامة تخلفها قوله : — إنه صاحبنا الإنجليزي يحلم وما كان قوله هذا إلا لإبعاد الخوف عن رفيقته ؛ ولكنه هو نفسه كان يرتعد في شكل ظاهر . ومرت دقيقتان أو ثلاث ، سماع بعدها بابا في الزدهة يفتح في حذر — على ما يبدو — ثم يعلق في هدوء وكأنما كان امرؤ يسير في الزدهة خفيف الوطاء مضطرب الخطى ، كأنه في أغلب الظن يحرص أن يمر دون أن يسمع وقع خطواته — وصاح ليون في سيخط وتبرم قائلا : — أى مكان هذا المكان الملعون ؟

فقلت : — بل إنه الفردوس

ثم ألفت برأسها على صدر ليون ونشأت

قائلة : ما ألد النوم !

وتهدئت ثم رقدت وسرعان ما غلبها النوم ثانية . بيد أن ليون كان متوتر الأعصاب . وبدأ خياله يصور له أشياء لم يكن ليبدأ بها في ظرف غير هذا . ارتسم على صفحة ذهنه المرحق ابن أخى الرجل الإنجليزي المنحوس . لم تكن قد أعجبت نظراته إلى عمه في أثناء توسلانه حين كانوا يتجادلان في الحطة . كان يسأله تقودا ولا ريب . وليس من العسير على شاب ملأ اليأس صدره أن يتسلق من الحديقة إلى نافذة الغرفة الملاصقة ، ثم هو ما زال في الفندق فقد رآه في الحديقة منذ قليل .. من يدري .. ربما ... أجل ربما ... بل من المؤكد أنه كان يعلم بحزمة الأوراق المالية في حقيبة عمه . ثم هذه الضربة الشديدة التي تشبه سقوط هراوة ثقيلة على رأس أصلع ، وهذه الصرخة المكتومة ، وهذا الأنين الأليم ، ثم هذه الخطى الراحقة الحذرة ، إن لابن الأخ هذا لنفس محرم قاتل .. ولكن كيف ؟ إن فندقا غامضا بالضباط ليس بالمكان اللائق لارتكاب جريمة ... ثم إن الرجل الإنجليزي ، وهو متشكك مرتاب ، لا بد أنه قد أعلق بابه جيدا ، ولا سيما وهو يعلم أى نوع من الرجال يحوم حوله .. إنه لا يثق به ، وآية ذلك أنه لم يشأ الذهاب إليه ويبدد الحقيقة . حين دعاه ،

لا يتحرك ، يحدق النظر في فزع إلى الشيء
الرهيب ، كانت الشابة مستسلمة ليوم هادئ
وأنفاسها الدافئة المنتظمة تلفح عنق
الرجل الملعون

وكان ليون شاباً مثزناً التفكير ، يدل على
ذلك أنه أمر أول ما نزل بالفندق بإعداد
طعام العشاء .. لذلك وضع لكل أمر
احتماله ؛ ولم يفقد حضور بديته ورباطة
جأشه في هذا الموقف .. لم يأت بأية حركة
تدل على انفعاله ، بل صعدت جميع الدماء
إلى رأسه لاستنباط حيلة تخلصه من ذلك
الموقف الصعب الذي يحيط به

وأمّل القراء الأعزاء وخاصة السيدات
منهم ينكرون على ليون هلمعه وانهايارأعصابه ،
وامله يقال إنه كان حتماً عليه أن يسرع إلى
غرفة الرجل الإنجليزي ليعتقل قاتله ، أو على
الأقل كان عليه أن يقرع جرس غرفته ويثيرها
ضجة في الحانة كلها .. ولكن ليون ..
معاذيره ؛ إذ يجب أن يدرك القراء أن حبل
الجرس في الفنادق الفرنسية ، إن هو إلا
بعض زينة غرف النوم والمخادع ، وغالب
ما يفترق إلى آلة معدنية تقوم بالغرض المنشور ..
كما يجب أن أضيف بكل تحفظ ولكن
بإصرار على رأيي ، أنه ليس من السهل على
عاشق يستقر على كتفه رأس حبيبته النائمة
أن يزججها بأمر جرعة حدثت في الغرفة

ولكن يا لله ! لماذا ينقب الإنسان عن أوهام
تنفص عليه وقته المنيء إيان سعادته ؟

هذا ما دار بخاطر ليون ... ومن بين
أفكاره هذه التي لا أحب أن أجمل القارىء
يمل من الإطالة في وصفها ، والتي مضت
تتناوب في خياله كمرأى الأحلام ؛ التي بصره
يتجه دون قصد منه إلى الباب الفاصل
بين الغرفة الزرقاء وبين غرفة الإنجليزي

ويخلق بنا أن تشير إلى أن الأبواب في
فرنسا لا تكون محكمة وإن أغلقت .
كان بين هذا الباب وبين أرض الغرفة
فتحة ارتفاعها نصف بوصة . وعلى حين
بجأة ومن خلال هذه الفتحة تبدى له شيء
قاتم اللون يبرق من طرفه ما يشبه سلاح
مطواة انعكس ضوء الشمس على نصلها .
ومضى هذا الخط القاتم من طرف ، اللامع
من طرفه الآخر ، يزحف في بطن نجاه خفين
من السنان الأزرق القيا في إهمال على مقربة
من الباب .. ما هذا .. أترأه حشرة زاحفة ؟
كلا .. ما هو بحشرة ، فماله هيئتها ..
الآن أقبل خيطان .. بل ثلاثة بنفس الجانب
اللامع البراق تزحف إلى الغرفة الزرقاء ..
وكانت حركتها سريعة بفضل انحدار أرض
الغرفة .. الآن قد برح الخفاء .. إنه سائل ،
وإن لونه ليبدو الآن واضحاً في ضوء
الشمعة .. إنه دم .. وبيننا كان ليون جامداً

واحدة ... إنها غلطتك ، وإني أفتحه
غلطتك »

ومن بين كلمات مثل هذا السؤال الذي
ظل يدور في ذهنه قوله « ماذا أصنع في هذه
المشكلة ؟ » غالبا ما يلج الإنسان بصيصا
من الأمل ... وقال ليون لنفسه يلتبس
مخرجا : « ماذا لو أسرعنا بمنادرة هذا الفندق
الاعمى قبل أن يكتشفوا ما حدث في الغرفة
المجاورة .. وسوف تضيق آثارنا . فما من
أحد يعرفنا هنا .. ما رأوني إلا والنظارة
الزرقاء على عيني ، وما رأوها إلا والقناع
على وجهي . ولا يفصلنا عن المحطة سوى
خطوات قلائل . وفي ساعة تكون بعيدين
عن هذه المدينة المشؤمة . » ... وبينما كان
يدبر أمر فراره إذ وقع بصره على الساعة
فذكر أن ثمة قطارا يمر بالمدينة في الثامنة
يقصد باريس حيث يستطيع هو ورفيقته في
رحلة تلك المدينة العظيمة أن يحتفيا إلى الأبد .
فطلما أخفت باريس المجرمين والأشقياء . من
يستطيع فيها أن يعثر على شخصين برئيين ؟
ولكن ماذا تكون الحال لو دخل امرؤ غرفة
الإنجليز قبل الساعة الثامنة ؟ هذه هي
المشكلة .. ولكن هل يستطيع غير هذا ؟
وبذل جهدا كبيرا للتخلص مما ران عليه من
روع وفزع . واستيقظت رفيقته لأول حركة
بدرت منه ، فقبلته ، بيد أنها صاحت عندما

المجاورة قتل فيها إنجليزى .. فما يستحق
مقتل أجنبي كل هذا العناء .. هذا إلى أنه
ماذا كان يحدث لو أن ليون صاح بملء
صوته وأيقظ الفندق كله . سيأتى رجال
البوليس والمحققون ، وبدلا من أن يسألوه
ما رأى وما سمع ، سيراهم يدافع الفضول
يستجوبونه هكذا : « ما اسمك ؟ وأين
أوراق شخصيتك ، والسيدة .. ما اسمها
وما علاقتها بك . ولماذا تتيان معا في هذه
الغرفة الزرقاء .. عليك أن تثبتا المحكمة
أنكما ساعة الجريمة كنتما في مكان كيت
وكيت ... الخ »

كان هذا أول ما خطر ببال ليون .. وكم
في الحياة من مشكلات ! .. والآن ! ترى
أيهما أفضل ، أن تترك أجنبيا يقتل ، أم
أن تجلب العار والفضيحة على امرأة حبيبة ؟
لا ريب أن ليون تصرف كأي رجل آخر
يكون في موقفه

لميث في مكانه كالصنم . وبدأ كأنه مخبول
المقل وهو ينو إلى الخفين الأزرقين ،
والجرى الأهر الصغير الذي مسهما .. وتصيب
العرق البارد من جبينه ، واشتدت ضربات
قلبه كأنما ستمرق صدره . وانتابه إحساس
بالخوف شديد ، وتلاحقت في ذهنه أخيلة
أفرعته ، وهب من أعماقه صوت راح يهمس
في كل كيانه : « سينكشف الأمر في ساعة

مست خذه البارد وهتفت في لهفة :
 — ماذا جرى ؟ إن جبينك بارد كالرخام
 فقال في صوت يرتجف :
 — لا شيء إلا أني سمعت جلبة في
 الغرفة المجاورة

وغادر فراشه ابتغاء إخفاء أي أثر يجعلها
 تعلم . أخفى نعلها الأزرقين ، ووضع مقعدا
 كبيرا يحق به خط السائل الأحمر الذي
 تجمع الآن وأنشأ ما يشبه بركة صغيرة على
 بلاط الزرقة ، ثم فتح الباب وأنصت في
 الصالة ، ولمس في نفسه جرأة جعلته يختبر
 باب غرفة الإنجليزي .. ألفاه مغلقا .. كان
 الهدوء يطوى الفندق كله . وكان نور القمر
 ينبثق ، وبدأ بعض الخدم يجهزون
 الجياد في الإسطبل ، وفي الطابق الثاني كان
 نمة ضابط يهبط الدرك وخلفه جلبة من
 مهماربه

عاد ليون إلى الغرفة الزرقاء وقص على
 رفيقته الأمر كله في أسلوب ملتو مخفف
 كان من الخطر البقاء ، وكان من الخطر
 الإسراع في الرحيل .. بل كان الخطر كل
 الخطر في البقاء في الحانة حتى يكتشفوا
 ما حدث في الغرفة المجاورة . ومن الميث
 أن يفصل وصف الخوف الذي نشأ في صدر
 الشابة العاشقة من سرد الخبر . هاتيك
 الدموع الغزار التي أهمرت ، وتلكم الآراء
 التي قلت . وكم من مرة ألقى كل من

وكم كانا يرتجفان ويستولى الرعب عليهما
 حين يطرق أذانهما وقع أقدام في الردهة .
 كل ضربة حذاء تسرع إلى خيالهما بنهاويل
 رجال البوليس وتساویرهم ، وحزما أمتعتيهما
 في أقل من رد الطرف ، وأرادت الشابة أن
 تحرق الخفين الأزرقين في المدفأة ، ولكن
 ليون أخذها ومسحها في طرف ملاة
 السرير ، قبلهما ، وغيبهما في جيبه ، ولقد
 دهش حين شم فيهما رائحة « الفانيليا »
 رائحة كانت تحبها رفيقته كما كانت تحبها
 الإمبراطورة أوجيني ..

الآن استيقظ كل نزلاء الفندق ، وتناثرت
 إلى أسناع ليون ورفيقة ، ضحكات الخدم

وترانيم الوصيفات ، وأناشيد الجند وهم
ينظفون أبواب ضباطهم ... ودقت الساعة
سبع دقائق ، وأراد ليون أن يجعل حبيبته
تتناول قهحا من القهوة ، ولكنها أشارت
إلى حنجرتها كأنها تلهب فلا تسمع شيئا ما
وضع ليون نظارته الزرقاء على عينيه ،
ثم هبط يدفع حسابه ، وأبدى له صاحب
الفندق معاذيره عما حدث من جلبة
وضوضاء ، فلم يفهم ليون ما يعنيه الرجل ،
فإن كان يقصد جلبة الضباط وتصرفهم ،
فقد كان ذلك نعمة كبرى قياسا إلى ما حدث
في غرفة الرجل الإنجليزي ... ومضى ليون
بؤكد له أنه قضى ليلة هادئة هائلة
وتابع صاحب الفندق يقول :

— أما عن جارك الإنجليزي فلا يستطيع
الآن مضايقتك ، فهو الآن يقينا نائم كالقتيل
هنا اعتمد ليون على مكتب الرجل اتقا
السقوط ، ورفيقته التي أصرت على مصاحبتها
سدت هي الأخرى على ذراع ليون وأثبتت
القناع على وجهها

واستأنف صاحب النزل حديثه في خشونة:
— إنه نيل إنجليزي ، ولا يرضى بغير
الأجود في كل مطالبه ، وهو مهذب لاريب
في ذلك ، ولكن ليس كل الإنجليز مهذبين ،
فبالفندق إنجليزي آخر كأنه مجرم سفاح ،
كل شيء في ناظرية مرتفع الثمن : أجر

الغرفة ، وثمان العشاء ... وقد أرغمني بلسانه
السلطان وعينه المتوهجتين أن أستبدل له
مائة وخمسين قرنكا بورقة مالية من فئة
الخمس جنيهات الإنجليزية ... انظر ياسيدي !
ها هي ذى الورقة أرجو ألا تكون زائفة
ونظر ليون إلى الورقة في يد الرجل
فرأى في أحد أركانها بقعة حمراء فهم ليون
منها كل شيء وعاد الرجل يقول :

— أظنها صحيحة ، أوه ! مازال الوقت
ملسعا ، فما يصل القطار إلا في الزامنة . بل
كثيرا ما يتأخر عن موعدة . آه ! عفوا
ياسيدي .. ألا تجلسين ! يبدو أنك متمعة
هنا دلفت خادم عفراء مكنتزة . قلت :
— أسرع بناء ساخن لشاي اللورد ،
ثم باسفنجة أيضا فقد انكسرت راحة
الحجر ونحرت غرفته جميعا

وترك ليون نفسه يسقط بين دراعى
متمد كبير ، كذلك فعلت صاحبتة ، بنفسها ،
وأحسا كلاهما برغبة شديدة في الضحك ،
وتغير رأيهما ، فلن يبرحا بمثل هذه السرعة
وأمسكت الشابة بذراع ليون وهزته في
إتساج شديد . وقال ليون لصاحب الخان :
يقينا لن نبرح قبل المساء . وعلى
ذلك فجهز لنا غداء فآخرا في تمام الساعة
الثانية عشرة

الدهليز الملكشوي

للاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

صنع وتد لحيوان أو شيئا من هذا القبيل فهو لا يصنع خوانا ولا صوانا ولا اثنا مما خلقته الحضارة . ثم أعفاه الزمان من هذه الحرفة التي بلغ حد تقمته عليها أنه أقسم ألا يعلم ابنه إياها ! لكن طريقة الإعفاء كانت كريهة فلقد كف بصره فجأة حين نجم في عينيه ما يسمونه « ماء » ... علة تستل نور الأبصار برفق خبيث ثم تدع المقلة وكأها سليمة فتتدع فيها العيون السليمة

وأصبحت أسرة النجار منذ ذلك الحين موضع رعاية أهل البر لأن الرجل لم يكن ذا ولد يمكن أن يعمل ، ولأنه باع أدوات النجارة بثمن بخس زكاه في نفسه أنه لم يعد محتاجا إلى قدوم ولا منشأ . وأسند إليه أهل القرية عملا يتناسب مع ما أهده إليه القضاء . يتناسب معه تماما ويكاد يكون « مؤهلا » مشروطا لمن يقوم بمثل هذه الوظيفة فلقد عينوه « ملا » يدبر مضخة كاسية ترفع الماء إلى صهريج المسجد لكن حسن النجار ما كان يرى وحده في طريق ...

أخذت روائح الرضا تهب على أسرة النجار مرة أخرى بعد أن مسح الزمان على الوالد بيد على أطرافها مرهم قليل . وبدأ عقدهم يلتئم كل مساء في دهليز دارهم المكشوف الذي يقع تحت ناظري مباشرة كلما أطلت من نافذتي نحو الجنوب كنت أراهم في ليالي الصيف مفترشين الحصى تنصب عليهم أشعة القمر فتغنيهم عن المصباح أو تلمع في كائونهم جرات الخشب فتلتقي عليهم نورا أحمر إن لم يكن هناك قمر . يتبادلون الحديث الساذج المطبوع بطابع الرضا والسالة والإيمان بالقضاء والقدر ، تلك المعاني التي تمشي في الريف جنباً إلى جنب مع دقيق الذرة ومع الجبن والرايب !! مسح الزمان على جراح الوالد فتمثل مصابه . تمثله وتشرته نفسه أيا كان طعمه لأنه من البلايا التي لا تنسى

كان نجارا في القرية يصنع ما يصنعه هنالك كل نجار . في أدواته خشونة أدوات أصحاب الحرف في الريف لأن عمله لا يعدو أن يكون إصلاح ترس أو تركيب يدقأس أو

به أفسى قلوب الناس . أما الجليل الشاذ في
ابن النجار ، فقد كان شعره :

لم يكن يذهب إلى الحلاق لأن أمه كانت
تقوم بهذه المهمة . كانت تجز رأسه بالقص
فترى ضربة هنا وضربة هناك ، وشطبا في
الشعر كأنها شطب السيف ، وفي أعلى الجمجمة
« شوشة » وفي أعلى الجبين « شوشة »
كذلك ... منظر شاذ قد لا تتصوره عينا
مدنى لكنه أحلى من الشهد وموقع في قلوب
الناس وبخاصة إذا ناست هذه الخصلات
مع عبات التسميم

كان أكبر أبناء أبيه على حداثة سنه ، كما
كان المحور الذي تدور حوله آمالهم وآلامهم
وبخاصة بعد أن فقد الأب نور عينيه ، وكان
اسمه إذا ما جن الليل وجلسوا في الدهليز
الكشوفى ينادى ألف مرة كأنما كان — كما
يقولون عنه — إداما لحبزه وسكرا شايعهم
وكمكهم في ليالى العيد ، ومسكنا لآلامهم
إذا ما ثارت في نفوسهم حوادث الماضي

وقد رأيته منذ أسبوع مضى وهو واقف
إلى جوار أبيه في ضحى يوم العيد . وكان
يجمع بيده الصغيرة اللاليم فيعطيهما للوالد ،
وأقراص الفطير وأطواق السمك فيضعها
في غرارة شدت إلى حامل الأرجوحة .
تلك الأشياء التي يقدمها الصبيان أحرار الركوب
أرجوحة السناديق التي يملكها التجار والتي

كان لا بد له من فترة حتى يألف حياته
الجديدة ... أعنى حياة الظلام الدائم . فكان
ابنه « ربيع » يسير إلى جواره يهديه سبيله
لأن الذين ينغاف النور في أبصارهم وهم كبار
يحتاجون إلى فسحة من الوقت لتمكن بقية
الحواس من أن تتحمل ما كانت تتحملة العين
قبل ذلك . لا بد من وقت للداخل في دنيا
الظلام على كبر حتى تتدرب أذنه على قياس
المسافات فيعرف عرض الطريق من أحاديث
المارة على جانبي الطريق ، وطول المدى
بينه وبين السكب النايح من صوت نباح
هذا السكب ، وارتفاع النخلة أو الشجرة
من همس الريح في ذوائب إحداها . ولا بد
للألف كذلك من مدة ليتدرب على معرفة
الأماكن والأوقات فيشم رائحة الربيع كما
يشم رائحة الشتاء ، ويميز رائحة الصبح كما يميز
رائحة المساء !! وهذه هي سنة التمويض
التي يجرى بها قانون الحياة !!

كان « ربيع » في السادسة من عمره ،
صبيحا مليحا ، يستأثر بقلبك منه وجه
مستدير أسمر تشغل عيناه منه مساحة كبيرة
كأنها لم تترك لبقية أعضاء الوجه مكانا فشغل
الفم والأنف مساحات صغيرة . وكنا لا نراه
إلا باسما تطرف أهدابه باستمرار إذا ما نظر
طرفات حاة ترأسها ابتسامة دائمة فيتألف
من ذلك كله معنى يستطيع ربيع أن يتوود

التحاريق وبعض ضفادع طال سمرها في البركة
القريبة . وانطقا الكانون ونام الرضيع ثم
نادت الأم ابنها الأكبر لينهض فينال شيئا
من لحم الدجاجة التي ذبحتها من أجله !!
ولكنه أحياها بأنين وتلمل وضجر ، ولم
يطل بينها النقاش لأن الأب نحس رأس
ولده وقال مخاطبا زوجته : دعيه مرتاحا .
ثم رفع رأسه إلى السماء وقال مخاطبا ربه :
يا إلهي ... أنت جاهي !!

وساح ديك مع الفجر واتصل صياحه
بعويل امرأة حتى كأنه امتداد لهذا الصباح
فهمبت مذعورا وأطلت على دهليز حسن النجار
لأنني لم أكن نسييت أراضه مريض ، فرأيت
على نور أول شمع من الفجر شبحي
الأبوين وهما يتزيان كما تتزي كرة المطاط
بين الأرض وبدا لللاعب ، لم يكن أحدهما يقول
شيئا جديدا ولا غريبا عما تعودا أن يقولاه
بل كانا يتناديان على التوالي أو في نفس واحد ،
باسم الحسب ، كأنهما كايثوقمان أنه سيجيب !!
ثم درج الزمان في طريقه غير ملتفت
لشيء وأظلم المساء الأول بعد غياب الصغير
عن دار أبيه ، وانصرف بعض النسوة
وبعض رجال كانوا يمزون ، وختل الدار
بالزوجين وأظلمت من نافذتي كأننا لأسهر على
وحدتهم من بعيد فرأيتهما ينطويان على
نفسهما ويتكاور كل منهما في ركن ويستسلم

سنعها أبام كان مبصرا وطل خشبها بأوان
زاهية فيها سذاجة واضطراب لكنها
بسحران لب الصغار . وكان على « ربيع »
جلباب جديد أحمر ، وعلى فمه اتسامة جديدة
بيضاء ، وفي قدميه حذاء قديم أسود ، واسع
قليلا ، فهو يثر به التراب إذا ما خطا على
الأرض .

هذا هو الدهليز المكشوف يقع تحت
ناظري وقد أطلت عليه من الشباك . وفي
السماء قوس هلال ضئيل لم يستطع نوره أن
يبين الأشباح في دار حسن النجار بوضوح
كامل . لكن الذي أثار فضولي وهيج
انتباهي أن سحابة هم كانت ترفرف على
المكان .

كان جوهم ثقيلًا تمشي في نواحيه وحشة
كثيرة . وهناك قدر على النار يستطع بخارها
مختلطا بدخان الحطب « وقوالح » الذرة ،
والأم منحنية على وليد صغير يتنص درها
ويصرخ بين فترة وفترة فتسد فمه بالقامه
الشدى . أما الأب فكان منزويا ساكنا على
الحصير بين أيديهم رقد ابنهم ربيع .

وطالت جلستي في النافذة حتى هجعت
القريبة فلم يعد ينهي إلى مسمعى إلا أصوات
بعض العلاءين وهم يحأرون بالغناء على
صرير الطائير التي تروى الأرض في موسم

ولم يقو حسن النجار بعد ذلك على إدارة
المضخة بل الصهرج لأن قواه قد خارت من
أثر الصدمة . ولم يكن هناك من يهديه
السبيل بعد أن خرجت زوجته إلى العمل
في الحقول

وحرم أهل الحارة على أبنائهم أكل التين
الشوكى مدة طويلة . ولم بعداً أحدهم يسمح
لولده أن يتسلل من مرقده في الصباح الباكر
ليسبق غيره إلى جمع البلح من تحت أقدام
التخيل حتى لا يفضى به المسير إلى تلسم
الروة العالية التي تغطيها أشجار التين في
جهاة وجفارة فيلقى مصير ربيع بن حسن
النجار .

تسلل إلى هناك متسلحاً بقطعة من الصفيح
زاحفاً على بطنه كما تفعل القنافة حتى لا يراه
عين الخمير . وجعل يعمل السكين في الثمار
وياً كل حتى تصبب شمع الشمس من
خلال أنواح التين . ولم يكن الصبي يعلم أنه
ظلم نفسه وأنه أكل فوق ما يطيق وأنه ملأ
بطنه « زلطا » وحصا سيكون آخر ما تزود
من الدنيا . ثم ... ثم رأت الوحشة على
الدهليز المكشوف !!

قلت لطبيب المستشفى المركزي بعد أن
رأيت على وجهه دلائل الألم :

إن رأيت في مشكلة النجار قديم يرجع
عنده إلى تاريخ موت ابنه ؛ فقد كان الرجل

للنوم في سكون بأثس . لكن الحال لم تدم
على هذا المنوال فقد بدا الجزع واضحاً على
الأب في الأيام التالية ؛ أما الأم فقد كان حزنها
كشيئاً صامتاً كأنه حزن القابر . لكن حسن
النجار كان يقضى الليل في حركة وكلام
لا ينقطعان ، اللهم إلا فترات من السكون
خيل إلى أن الرجل كان يناقش فيه قضية
نفسه ثم يعلن نتيجة النقاش جملاً قصيرة
لعلها اعتاب تشو به الشكوى أو شكوى تازجها
العتاب فيقول : يا إلهي ... ضاع عكاز
الأمي ... وبقي الأمي بلا عكاز !! ثم يقوم
فيقطع الدهليز في جيئه وذهب ويدها ممدودتان
أمامه كأنما ليتقى بهما شيئاً ، يفعل ذلك وهو
يردد : عكاز الأمي يا إلهي ... عكاز
الأمي يارب !!

كنت في نافذتي أتدبر القضية التي يتدبرها
حسن النجار في ضميره وأحاول أن أصدر
فيها حكماً ولكنني لا ألبث أن أتنحى عن
الموضوع لأنني لست جديراً بأن أحكم فيه .
لكن معنى واحداً سيطر على إحساسي حتى
استرقني وجعلني عبداً له ، وهو أن الموت
ضرورة لهذا الرجل . كنت أراه يجد السير
في طريق له شعبتان إحداهما جنون وإحداها
هلاك . فتمنيت أن تهديه قدماه اللتان تقودهما
الأفدال إلى الشمبة التي تفضي به إلى الموت
فإنها خير على كل حال

وفي ضلوعه وأحشائه إصابات عميقة . وقال
أهل القرية : إن يد أحد الصبيان العابثين
هى التى قادته نحو هذا المصير يوم قال له
الشقى : اتبعنى يا سيدى أهدك سبيلك .
فذكر الرجل ابنه فسأله عن اسمه ، فأجاب
العاث كاذباً : اسمى ربيع . فحن الأعمى
وتحسس رأسه فألقى على جبينه « شوشة »
فتبعه فى غمرة من التذكرى حتى قاد خطاه
إلى أعماق الهوة . وكان هناك صبيان آخرون
شهدوا المنظر لكنهم تفرقوا من الدعر فى كل
صوب كما تفرق العصافير عند فرقة الرصاصه
وقد حرصت — وأنا جاره — على أن
أتحرى صحة الرواية ، لكننى رجعت بفكر
مبيل وخاطر متشتت ، وخيل إلى أن كل
حادثة تقع مرتين على الأقل ، مرة فى عالم
الحقيقة ومرة أخرى فى خيال الناس
ولكن كل هذا لا يغنى بعد أن وصل
النجار إلى ما وصل إليه

ونمت عند رأسه بعض فاكهة حملها
على أمل أن يفريق فيطعم منها شيئاً لكنه كان
يمجد السير نحو النهاية المحتومة
رأبته آخر ما رأيته يمد يده إلى الأمام
على هيئة من يتحسس الطريق وهو يقول :
المكاز ... عكاز الأعمى ... !! فقدمت له
عصاى على الرغم من أننى فاهم كل ما يقصد .
فأمسك العصا بين كفيه وقبض عليها بقوة .

يتعذب إلى حد جعلنى أدرك مغزى « خلق
الموت والحياة » . أجل يا سيدى إن الموت
شئ يجب أن يخلق . فهز الطبيب كتفه
وقال بصوت لا يخو من العتاب : أحدثنى
عن الموت ؟ أحدث عنه طبيباً والموت هو
المحور الذى تدور حوله أعمال كل طبيب ؟!
فقلت : عفوا ، بل قصدت أنه نعمة بالنسبة
لذلك النجار

لم يتكلم منذ دخل المستشفى بكلام مفيد
بل كان يخلط فلم يفهم عنه جيرانه شيئاً .
وها هو ذا فى فراشه اليوم يحيط به « رافان »
ابعدله عن بقية الحجرة حيث الحياة مرجوه
والشفاء مرتقب . وكان لا بد للنجار أن
يدخل هذا المستشفى لأنه كثيراً ما ضاق
بالوجود فاستعان بمصاه وخرجها ثماً على وجهه
حتى إذا ما استقبل القضاء وأحس حلاه
الحقول رفع عقيرته صائحاً بعلء حريقه
منادياً ولده فلا يرد عليه إلا الصدى

كان يفعل ذلك من حين إلى حين حتى
تردى ذات يوم فى حفرة عميقة على جانب
الطريق وعلى رأس مزرعة . حول أحد
الفلاحين طينها إلى لبن استعمله فى البناء
ثم تركها ترتدم رويداً رويداً كلما شاء أن
يلقى فى جوفها شئ

واستقر فى أعماقها النجار وأصابه منها
بأصابه . ثم انتشاه وعلى وجهه دم وطنين

اقْرَأْ نَسَاءَ زَوْجِكَ

بقلم الأستاذة زينب الحكيم

أقع في حبه كما برهن واقع الحال على ذلك .
ولاسيما أن مظهره الحلاب ، وشخصيته
الجذابة جعلناه من نوع الرجل الذي يسترعى
القباهى كثيرا . وقد ذكرنى بغنة بزواجى
« جيف » الذى قتل فى الحرب . ولم أفطن
إلى ذلك . لحب متى وقعت فيه ، وظلت هذه
اللحظة غامضة إلى أن جلاها لى النبأ الذى
سمعته فى آخر الأسبوع الماضى . وهو أن
زوجته « لى » تنتظر مولودا .

فإن ما التابنى من ألم خائق ، وما تبع ذلك
من اضطراب عواطفى لم يدع لى مجالاً للشك
فيما وقعت فيه . نعم وقعت فى الحب الثانى ،
وتأكدت أنه سيجلب إلى عذاب القلب فى

كان عليها أن تتظاهر بالصدافة كلما دفا
قلبها للحب . وترى فى هذه القصة صراحة
المرأة وثورتها إذا هى بحث عما يعوضها
مما تفقد .

قالت « نانس » : لن أنسى أبدا ذلك
الصباح الذى أتى فيه « بوب » للعمل فى
مكتبنا . وكانت ذكرى اليوم الذى أحببته
فيه أكثر من ذلك أهمية ، فقد عرفت
من قبل أنه متزوج .

ولكن الحب على ما يبدو شئ . ليس فى
مقدور البشر ضبطه . وقد حدث أنى عندما
قابلت « بوب » كنت وحيدة وغير سعيدة .
وفى هذه الظروف كان من المستحيل ألا

— خلاص !

وأظلت على الدهليز المكشوف فى مساء
نفس اليوم فلم أر إلا كانوا لا نار فيه ،
وحصيرا ينمكس عليه ضوء القمر ، وامرأة
حامية على وليد ترضعه فى سهوم بعد أن تفرق
من حولها النسوة

وكانت هناك كلمات ضعيفة لم تستطع أن تخرج
من بين الشفتين إلا هواء ... هواء فارغاً من
كل صوت . وأخذت يدها بمدد قائق تتخليلان
عن العصا قليلاً ... قليلاً ... قليلاً
فالتفت خلفي فإذا بالطبيب ينظر إلى وهو
يسأل سؤال العارفين :

محمد عبد الحليم عبد الله

— خلاص ؟ فأجبت :

هذه المرة أكثر مما يحلب السعادة .

لقد كنت أنا و « بوب » صديقين من أول يوم تقابلنا فيه لأننا نعمل العمل المتشابه في مكتب رئيس مقاطعة ، و ربط بي بالخبص السائل ، وتزويدها بما يلزم من تمهيد في كل عمل توليته . وأعجبتني منه تركيز انتباهه إذا ما درس أى مشكل جديد ، وسرني سرعة تفكيره .

وأتذكر أول محادثة لنا غير رسمية ، عندما تناو لنا سيكارير في فترة راحة أثناء قيامنا بعمل مرهق فقد قلت له : إيك تذكرني بالمرحوم زوجي ، ودهشت من نفسي بعد أن قلت له ذلك ، فلم يكن من عادتي أن أتحدث عن « جيف » بهذه السهولة للأغرباء ، وقلت مستطردة لأخي دهشي من اعترافي : لقد كان له مثل موهبتك من القدرة الخارقة على كل عمل تولاه ، فقال « بوب » : لا بد أنه كان رجلا عبقريا . لم أكن أعلم أنك متزوجة ! وهل حدث ذلك من مدة طويلة ؟ فأجبت : نعم كنت متزوجة ولكنه مات بعد سنتين من حياة زوجية سعيدة ، وتراني لا أستطيع شرح موته بهدوء مع أحد ، فغير « بوب » موضوع الحديث . وكانت تعلم « نانس » أن زوجته معه في واشنطن ، وسبق أن تكلم أمامها عن بعض مشاكليهما البينية ، وطلب إليها غير مرة

مقابلة زوجته مؤكدا لها أنهما سينسجيان معا . وأخيرا قالت نانس زوجة « بوب » ريسكوت في حفلة ساهرة ، وكان « جاك أنسلو » يرافق نانس حينئذ ، وقد وصلا متأخرين ، ووجدنا جموعا من الناس يتنقلون بين المحلات ، ولكنهما لم يريا بعد أسرة ريسكوت . ونجاة سمعت نانس صوتا ليس غربيا عنها بالقرب منها ، فوجدته « بوب » مخاطبا إياه « ها أنت ذي هنا . لقد ظننت أسكما اعتذرتما من عدم المجيء » ، والتفت إلى زوجته « لي » قائلا : عززني « لي » أريد أن أعرفك بأثنين من أصدقائي « نانس ورن » و « جاك أنسلو » ، فسلمت عليهما بحية ولحيت « نانس » في مهارة لم تخف عليها ، وعرفت « نانس » من هذه المحادثة أنهما لن تكونا صديقتين . وصدق حدسهم الأسف ، ولكنهما عوات على أن تحب « لي » زوجة « بوب » لأنها أحبته هو . وقد كانت لي ذات جمال يسترعي النظر وعلامة جبهة ، ووجه يكاد يكون شرقيا مع شعر ناعم أسود معصوب حول عنقها . ولكنهما كانت من نوع المرأة السفاسطة المشاكسة المتحفرة . وقد قالت نانس من أمثلها كثيرات من قبل

اقترح « بوب » أن يذهب أربعتهم إلى المطعم لتناول العشاء ، وأسرع جاك إلى تأييد

الاقتراح ، أما « لى » فقد كانت تسلم بما اقترحه زوجها .

ووصفت نانس جاك قالت : لقد كان رجلاً لا فناً للنظر وعلى جانب كبير من الظرف ، وتساكن لن أتصور أن أقع فى حبه أبداً ، لذلك لم يزعجنى مראيته من عبث « لى » معه تلك الليلة ، وإنما الذى أقلقنى حقاً ، وضايقتنى فعلاً ، هو ما يمكن أن يحدث هذا السلوك من رد فعل لزوجها . على أن « بوب » لم يبد أى علامة تدل على أنه لحظ شيئاً على سلوك زوجته ، وقد يكون بالفعل رأى شيئاً . وحاولت جاهدة أن أجِد موضوعاً أستطيع نقاشه معها .

وأخيراً سألتها : هل تحبين وشنتن ؟ فأجابت : وهل يحبها أحد ؟ على أنى قد آلف الوجود فيها بالتدريج كما يقول « بوب » ولكنها تظهر فى عيني مملة الآن .

فقال « بوب » : إن هذه هى المرة الأولى التى عاشت « لى » فيها بعيدة عن أسرته ؛ ويلزم للإنسان بعض الوقت ليلائم بين نفسه والبيئة الجديدة .

فقالت « لى » : لست أعتقد أنى أريد أن آلفها .

فقال « جاك » : هذا شيء مما أعرفه عن النساء . إنهن يحببن العزلة ، ويردن المدينة التى سبق أن عرفنها ، والأصدقاء

ذاتهم ، والنادى نفسه من المهد إلى اللحد . فضحك « بوب » وضحكنا معه . وقالت « لى » فى انسجام - إنى متأكدة أيضاً ، أنك تعرف أشياء أخرى عن النساء يا جاك ، فقال فى حذرة ولكنى إن أزعجك بما أعرف . وعادت نانس إلى منزلها وقد كوت فكرة محددة عن « لى » . وأكثرت من هذا أنها بعد أن تقابلت معها ، كان من الصعب عليها أن تنزعها من أفكارها ، فلم تعد بعد الآن فكراً ، ولا امرأة ليست لها أهمية بالنسبة إلى . إن لها شخصية خاصة ، وهى جميلة وأناثية ، وهى بلا شك امرأة قاسية ، ولكنها فى الوقت ذاته تحمل سعادة « بوب » فى يديها الدقيقتين .

ورأت « نانس » « لى » ثلاث مرات بعد ذلك ، مرتين منها فى حفلى ككتيل صغيرتين ، وكانت المرة الثالثة فى منزلها عندما كانت وزوجها يكرمان « بتى وايزر » لانضمامه لموظفى المكتب ، وكان « بتى » وزوجه « إيدث » الصديقتين الحميمين لأسرة بريسكوت ثم علمت نانس بالتدريج شيئاً عن نشأة « لى » فقد سبق أن اشتغلت فى إحدى شركات الإعلانات قبل أن تزوج ، وكثيراً ما نشأت أنه كان فى مقدورها أن تبرز فى عملها ، لولا وقوع « بوب » فى حبها ، وشغلها بعد الزواج إلى وشنتن ، مما أساء إلى مشاعر زوجها .

ربعد دقيقة مشيت « لى » متكاسلة لتلتحق
« بايدث » وفتاة أخرى فى الرواق .

قالت « نانس » شعرت باضطراب عصبى
فى أعماق ، ودق قلبى دقات خاطفة من الألم ،
وبغمة تغير كل شئ ، ولم يبق اليوم هادئا
سعيدا ، فكأنما التقت زوبعة بمصافى فى
أحشائى ، وكأننا تمزقان جسمى إربا .

وكان المدعوون يتداعبون أو يجاهدون
راجعين إلى الماء ، بينما حضر إلى جاك
واجتذبنى من كرسي قائلا : إنك شاحبة
كالشيخ أرجو أن تكونى بخير . فأجبت
لماذا ؟ طبعاً أنا بخير ، وكل ما أحتاج إليه هو
أن تلوح الشمس وجهى . واتخذنا طريقنا
نحو الجماعة ، وشعرت وأنا أسير معه على
الشاطئ الرملى بأن قواى ستخوننى إذا
ماخضت فى الماء ، ومع هذا حاولت . بل
جازفت بنزولى فى الماء ؛ ولكنى بقيت
بقرب الشاطئ وسبحت فى أنصاف دوائر
بلا غرض ، فقد تردد فى خاطرى أنى أحب
« بوب بريسكوت » ، أنى أحب « بوب
بريسكوت » ورددت أمواج الماء هذا اللحن
الرخيم : — أنى أحب « بوب بريسكوت »
و « لى » زوجته تلتظر مولودا .

وبينما كنا نتناول بعض الشراب على
الشرفة فى المساء ، وقف « بوب » إلى
جانبي لحظة وقال : إنى سعيد برؤيتك

واختار الموظف الجديد وزوجته منزلا
صيفيا ، ودعوا فريقا كبيرا من أصدقائهما
فى آخر الأسبوع للسباحة ، وذهبت نانس
وجاك إليهما يوم السبت مبتدئين الرحلة من
وشنطن متأخرين ، ولدى وصولهما وجدا
جميع المدعوين قد حضروا ماعدا أسرة
بريسكوت ، لأنها لم تتحرك من وشنطن
إلا ظهرا ، وعندما وصلا كانت « لى » فى
حالة نفسية سيئة ، أما بوب فكان ممتنع
الوجه بادی الهزال ، فاستقبلهما بتي باهمام
وسأل بوب عما أخرهما واطمأن عليهما .

أقعد كان فريق من المدعوين مضطجعين
على كراسى الشاطئ فى الرواق الرملى الذى
ترى على بعد خمسين ياردة منه مياه الخليج
الزرقاء المترققة كالبلور الصافى . وقال
« بوب » إن « لى » مريضة ولعله كان من
الواجب ألا نحضر اليوم ، فقالت « لى » مكررة
ولم لا ؟ إذهب للاستحمام ، وسأجلس
هناك حيث أستطيع رؤيتك ، أو قد أشغل
نفسى « بالحياكة » أليس هذا هو ما عمله
الأمهات المترقيات المولود المنتظر يابتي ؟

فقال بتي : أعلم أنك تكرهين السباحة
على أى حال فلا تظاهرى بالتضحية .

فقال مخاطبة « بوب » عجل بارتداء
لباس البحر . وسنراك فى الماء .

ففعل ماأمر به وتوجه توا إلى مبنى الحمام

وأن تفنك به أو أن تفسد حياتها كلها ،
وكان عليه أن يحتمل لأنها زوجته ، وسيكون
لها سلاح آخر من الأغلال أقوى ، توثقه به
إلى الأبد إذا ما رزقت مولودها المترقب .
وقد أخيل أن « بوب » يضيق ذرعه ،
ويضعف احتمال بهذه الحال ، وقد يطلتها ،
ولكني لا أتصور أبدا أنه يضحي بابه

ضاقت نفس « نانس » بهذه الحالة
العاطفية المسيرة التي أحاطت بها من كل
جانب وازدادت سوءا إثر كراحتها
لمواجهة « بوب » في مكتب العمل .
مما جعلها في موقف شاذ ، ونفسية
مريرة ، وحياة قلقة ، فلم ينمض لها
جفن طوال ليلة الأحد . على أنها استطاعت
أن تدارى موقفها إلى حد كبير في اليوم
التالي عندما ذهبت على عادتها إلى مكتب
العمل ، وحيث « بوب » باتسامة لطيفة
كادت تكون طبيعية ، عندما أسرع إلى مكتبها
ليجمع بمض التقارير الخاصة بالمؤتمر ، الذي
سينعقد في مكتب الرئيس

وتعددت هذه المؤتمرات بحيث ضاعفت
العمل بالسكتبانما كثيرة ، ولم تهدأ الحالة
نوعا ما إلا في يوم الخميس ، وحينئذ سنحت
الفرصة « لبوب » بأن نتكلم عن شيء
آخر غير العمل ، وكنت قد عكفت على
حياة الغرام التي تبينتها في نفسي بالنسبة لبوب

« يا نانس » ، وكانت تحيط بعينيه هالات
سمراء ، وبدا عليه الوهن أكثر مما بدا
عليه حين ألى ، كما بدا عليه القلق والهم .
ودبت الرعدة في قلبي وذلك ما لم يحصل
في اليوم السابق . وكنت مرتبكة بحيث لم
أجد كلاما أقوله له . ومر بنا جاك في تلك
اللحظة ، فضيت إليه واجتذبت به إلى الداخل
ليتحدث إلينا ، فكان مساء لا تنسى ذكرياته
الوُسْية . فقد حدث أنه بعد أن تحدث إلى
« بوب » لحظة ، رأيته يضع كأسه وقد
فرغت إلى النصف وراء شجيرات الأوص
التي في الطنف . وبعد دقيقة يصل إلى « لي »
ليحاول أن يأخذ كأسها من بين يديه اليسك
هو بها ، فتقول في خفة : أنزكني فسأحتسى
كلما أردت ذلك

ولم يقل « بوب » شيئا وحرك كتفيه
في يأس ومشى بيديه فارغتين . وهنا كانت
اللحظة التي أيقنت فيها أن شعوري المتأثر
موقف لي مني ، قد زاد وبدأت أكرهها ،
لأنها زوجة الرجل الذي أعجبت به ، والمرأة
التي استولت على من أحببت ومنافستي
الوحيدة فيه ، وهي المرأة التي ستعجب
إني . وبلغت المنافسة بيننا أشدها ؛ ولكن
كان من حقها كل شيء ، وكان الترجيح
في جانبها

فكان لها أن تنف أو تعير « بوب »

كان لي طفل لموضني جانبا من قعد «جيف» ،
 لأنه جرد منه كان يجب أن يستمر حيا ،
 فضلا عن أن وجود الطفل كان شيئا مهما
 بالنسبة لي شخصيا - لذات الطفل . وكم
 وددت أن تكون لنا ذرية صالحة ، ولكن
 حياتنا ما كادت تبدأ حتى انتهت ، فقدمت
 جيف في الحرب . فقال «بوب» ولكن
 ننشئة الأطفال وحدها أمر شاق جدا
 يا نانس . فقالت لم أكن أتصورها سهلة
 ولكنني كنت أستطيعها . فقال : لا ريب
 كنت تستطيعينها لأنك شجاعة ، ولك
 مقدرة على هذا العمل الذي ربما أرهق زوجك .
 فقالت لست أظن ذلك ، لقد فهم أحدا
 الآخر ، وكنا صديقين كما كنا مجبيين . فقال
 مبتسما : لقد كان زواجكما سعيداً إذن . ثم
 أضاف : لست أدري إذا كانت زوجتي
 تفهمني دائما ، أو أفهمها أنا أيضا . وأخشي
 أنها تقطنني أبداً لأنني شديد الشغف بابني ، ولو
 أنه صغير الجسم بصورة غير مألوفة ، فوزنه أربعة
 أرطال ونصف وقد وثقه الأطباء في بيئة
 أشد سخياً بحضن التفريخ زبادة في الحديقة .
 على أن طبيبه الخاص يؤكد أنه بخير ولا
 خوف عليه . فسألته : وكيف حال «لي»
 فقال إنها بخير ، وأشغل نفسي كثيراً
 بإعداد النشرات عنها وعن المولود
 وفي الليلة لم يدع «بوب» كبيرة ولا

أثناء الأربعة الأيام الماضية ، فشعرت بشيء
 قليل من الهدوء النفسي ، واقترح «بوب»
 في ذلك الصباح أن نذهب إلى المقهى لتناول
 فنجاناً من القهوة . ونفذنا الاقتراح فوراً ،
 وحيما كنت أضع جزءاً من السكر في فنجانى
 شاردة الدهن لاحظت أنه كان يلقى على نظرة
 فاحصة ، فقابلت نظراته بإبتسامة ، فسألني
 فيم كنت أفكر ، قلت : كنت أفكر
 في حي الشديد . فقال : شكراً لك «يانانس» ،
 إنك صادقة مخلصه ، وأعتبر نفسي موفور
 الحظ لأن أتحذك صديقة . فقالت شكراً
 لك «يا بوب» إنى بدورى شديدة الاعتزاز
 بهذه الصداقة . وساد الصمت بينهما فترة ،
 الى أن تشجعت نانس فأضافت جملة أخرى ،
 فقالت : إنى مغتبطة كل الغبطة لأنك و«لي»
 سترزقان مولوداً . وما كدت أنتهى من
 هذه الجملة حتى لحظت على وجهه نوعاً من
 الوداعة لم أعهده من قبل ، ولكن كان
 أثرها مريراً على . فكانت كسكين اخترقت
 قلبي . وساد الجوفرة سكون أخرى ، وبدأ
 «بوب» الكلام بهذه المرة ، وسألني :
 ألك أولاد يا نانس ؟ إنك لم تحدينني عن
 أحد منهم - وكم عجبت لذلك . فمززت
 رأسي سلساً ، وقلت : هذا موضع ندى
 دائماً . فقال : وهكذا انتهت الحال على هذه
 الطريقة ، فقلت في صوت هادئ : نعم : لو

فأجاب سلبا ، وقال كم وددت لو كانت الرحلة قد انتهت وعدت منها اليوم ! لأنى أكره فراق « ندى » ولدى العزيز ، الذى لم تربه حتى الآن . وسألها متى تزور أمهته ؟ قالت : لقد أرسلت بعض الأزهار إلى « لى » بالمستشفى وهدية للمولود ، ولم أحاول رؤية الطفل مؤجلة الزيارة الشخصية خشية أن تخوننى رزائى عند رؤيته ، وكذلك منعنى كثرة العمل

فقال : هذا عذرواها ، وعلى أية حال يمكنك تأدية الزيارة وأنا مسافر . فوعده أن تفعل ذلك ، وحددت يوم الأحد مقدره أنه سيسهل عليها رؤية الطفل لأول مرة من غير أن يكون أبوه الزهوبه واقفا إلى جانبه وتركت « نانس » نزلها فى الساعة الرابعة مساء ، متجهة نحو جسر « تافت » تاركة رسالة مع عامل التليفون بأن يحبر « جاك » بأنها ستعود فى نحو الساعة السابعة فقد كان بينهما موعد للعشاء

وكان اليوم صحو لطيفا مشمس من أيام أواسط نوفمبر ، واستقلت السيارة العامة « إلى جورج تون » وقطعت مسافات طويلة فى رحلة موفقة ، تفرجت أثناءها على جزء كبير جدا من واشنطن التى ينتظر أن ترحل عنها قريبا وفى نفسها لوعة لذلك قالت « نانس » عندما نزلت من السيارة

صغيرة لم يخبر نانس بها . وشعرت نانس أنها تعيش حياتين ، حياتها الخاصة وحيات « لى » ، ولهذا عولت على أن تتخذ خطوة حاسمة مقررة أنه من السخف المروع أن تقع المرأة فى حب زوج امرأة أخرى ، وقررت أيضا التخلص من احتمال آلام منصبها الراهن فى العمل الذى يسبب مقابلتها « لبوب » باستمرار مع معرفة الكثير عن حياته الشخصية والتى لا يخصها نصيب منها ، وأصرت على أن ترحل عن واشنطن ، حتى تبعد عن كل شئ ، ولتعيش بعيدا على ذكرى حبها الثانى

وبكرت فى صبيحة أحد أيام نوفمبر لترى مدير المكتب ، وطلبت إليه نقلها . فظهر عليه التعجب والدهش لطلبها ، ولكنه قال : سأنظر فيما يمكننى عمله من أجلك ، وأشار إلى أنه ربما استطاع تحويلها إلى عاصمة الولايات

لم يخبر « نانس » « بوب » بما انتهى إليه قرارها ، مفضلة إرجاء ذلك حتى يتم النقل . وفى الوقت ذاته كان « بوب » مضطرا للسفر بالطائرة إلى الشاطئ الغربى فى منتصف نوفمبر بتشكيف رسمى لإلقاء محاضرات . وشغلها فرز التقارير التى قد يحتاجها فى رحلته طيلة عصر اليوم السابق ليوم الرحيل وسألته « نانس » إذا كان فرحا بالرحلة !

مشيت أمام الأبنية الثلاثة الضخمة الموصلة
لنزول أسرة « بريسكوت » وأشارت إلى
أن كل إنسان يعرف وسنطن بقدر
ما تكون عليه « جورج تون » ، فهي
خاضعة من الأسر والبيوت القديمة العظيمة ،
والأسر العريقة الصغيرة ، وهي صفوف من
الأبنية ، ولفت نظري أحدها ، كان لون
طوبه أخضر ناضرا ، وتحيط به ممرات على
جوانبها أشجار الزينة ، وله مداخل أنيقة
ترتفع درجة أو درجتين على مستوى
الشارع ، وفي رحابه حدائق صغيرة جميلة
التناسيق منعكفة داخل أسوار مرتفعة
وكان المساء يتقدم بينما اقتربت « نانس »
من منزل « بوب » ، وكان منزلا صغيرا
مكونا من حجرة واسعة ، وثلاث أخرى في
الداخل بنى على سطحها ست غرف ومعبأ
الحمام والطبخ وقد أجراها مفروشة
قالت نانس : دهشت إذ رأيت جرائد
الأحد مبشرة في المدخل ، فجمعتها ثم طرقت
الباب ، فلم ألق إجابة لمدة دقيقتين ،
ولكنني سمعت صوت كرسي تحرك على
أرض حجرة عارية ، ورأيت ضوءا أشعل
في حجرة الاستقبال ولو ألى لم أستطع رؤية
شيء مما بداخلها فقد كانت نوافذها مغلقة .
وطرقت الباب مرة ثانية ، وبعد لحظة
سمعت مفتاحا يتحرك في قفل الباب ، ثم

فتحت « لى » وحيثني بنظرة عابرة ، وكانت
مرتدية معطافا منزليا ذهبي اللون وعليه
تطريز جميل من قماش الكريب ، ولكن
كان عليه بقعة كبيرة في أحد جوانبه
أصابته ، كأنها كانت تظهر وهي ترتديه .
ورحبت بي في صوت كدت أنكر أنه صوتها
الذى أعرفه ، قالت : ها أنت ذى ! تفضل .
وقادتني إلى حجرة الاستقبال ، فوجدت
بها امرأة شقراء جميلة لاف ، ترتدى
سروالا رصاصيا وصدارا أخضر اللون ،
وكانت مضطجعة في إحدى زوايا الكنبه
الكبيرة وممسكة بكأس في إحدى يديها .
وبسيجارة في اليد الأخرى أطفالها بيني
كانت لى تقدمنى إليها

قالت « لى » هذه « جيرى » صديقة
قديمة ، أنت أمس فقط في طريقهم
إلى نيويورك
ثم قالت : وهذه « نانس » « يا جيرى »
تعمل في المكتب الذى به « بوب » ،
وجلس على كرسي ، بينما جلست أنا على
الكنبة إلى جانب « جيرى »

ولحظت أن « جيرى » تفحصنى متعمدة .
وأخيرا وضعت كأسها على المنضدة ، ثم
نهضت قائلة : سأعد لك كأسا فأى مراح
تفضلين : الماء أم السوداء ؟ فقلت الصودا .
مفضلة قبول الكأس على الاعتذار منها

مشيت أمام الأبنية الثلاثة الضخمة الموصلة
لنزول أسرة « بريسكوت » وأشارت إلى
أن كل إنسان يعرف وسنطن بقدر
ما تكون عليه « جورج تون » ، فهي
خاضعة من الأسر والبيوت القديمة العظيمة ،
والأسر العريقة الصغيرة ، وهي صفوف من
الأبنية ، ولفت نظري أحدها ، كان لون
طوبه أخضر ناضرا ، وتحيط به ممرات على
جوانبها أشجار الزينة ، وله مداخل أنيقة
ترتفع درجة أو درجتين على مستوى
الشارع ، وفي رحابه حدائق صغيرة جميلة
التناسيق منعكفة داخل أسوار مرتفعة

وكان المساء يتقدم بينما اقتربت « نانس »
من منزل « بوب » ، وكان منزلا صغيرا
مكونا من حجرة واسعة ، وثلاث أخرى في
الداخل بنى على سطحها ست غرف ومعبأ
الحمام والطبخ وقد أجراها مفروشة
قالت نانس : دهشت إذ رأيت جرائد
الأحد مبشرة في المدخل ، فجمعتها ثم طرقت
الباب ، فلم ألق إجابة لمدة دقيقتين ،
ولكنني سمعت صوت كرسي تحرك على
أرض حجرة عارية ، ورأيت ضوءا أشعل
في حجرة الاستقبال ولو ألى لم أستطع رؤية
شيء مما بداخلها فقد كانت نوافذها مغلقة .
وطرقت الباب مرة ثانية ، وبعد لحظة
سمعت مفتاحا يتحرك في قفل الباب ، ثم

و دار نقاش حول هذا

ود هبت جبرى إلى المطبخ حين جلست
«لى» فى مكانها مظلمة النفس واضعة
رأسها على متكأ المتمد . ودرت بنظري فى
حجرة الاستقبال الممطرة ! فأيقنت أنهما
كانتا تماقران الخمر طوال يوميهما ، كما كانت
صحف السبت ملقاة فى كومة على الأرض
بجانب الكنفة ، واكتظت منافض السجائر
الأعقاب حتى سوحت أعقاب السجائر
جانبا كبيرا من المناضد التى تحملها ، كما
كانت مقاعد الزعريرات بحجرة المائدة مغطاة
بأوراق الأزهار المتناثرة من بقايا
الورود الذابلة . وكانت هناك أكواب
كثيرة مهملة هنا وهناك ، بالإضافة إلى
ثلاث زجاجات من آثار غذاء الطفل . وقد
كرتنى هذه الزجاجات « ندى » فسألت
وكيف حال الطفل ؟ فأجابتنى « لى » إنه
مخير — بنام كل الوقت أو يأكل كل
ما يستفسرت عما إذا كان نائما الآن ! فقالت
إنه فى الطابق العلوى ، ثم أومأت لها هى
بى «جبرى» ! ونادتها فى رقة قائلة : كوني
ملاكا باعزرتى وزيدي كلشى قليلا . وما
مئت الرءوس أن حميت ، ثم أعقبها ساعة
من الكابوس مزعجة ، فقد كانت «جبرى»
من ذلك الصنف الذى يهذى إذا ما لعبت
الخمر رأسها — واحتكرت الحديث —

ولما تميت من كثرة الكلام عن نفسها
وعن عملها فى فن الإعلان بالإقاضة المملة ،
نفاوت « لى » وأسرفت فى وصف لبوغها
لما كانت موظفة ، وأشادت بتعدد مريديها
فى حلقة الرقص ، ثم عرجت على نقد حياتها
الحاضرة ، وقللت من قيمة ربط حياتها
بزوج وبابن ورعاية منزل ، وأنكرت أن
تقصر ذكاهما على معالجة مثل هذه الأمور الثقافية
فما لك « نانس » فى شئ من الحدة :
ليس من الضرورى أن تجلب الوظيفة
السعادة فى الحياة . ولكن « جبرى »
عارضتها فى ذلك قائلة : إذا لم يكن من مزاي
الوظيفة العامة إلا التسلية والتشريط لسكى .
انقد كانت «لى» وكذلك كنت أنا من أسعد
الوظائف ، ولم يحدث أن صادفتنا ظروف
كرهت إلينا ما أخذنا على عاتقنا أداءه ،
وأمنت « لى » على قولها ، وأضافت : أما
الحياة الآن مملة وسخيفة . ودهشت
« نانس » من لون حديثهما ، وأرجعت
ما فيه من شطط إلى ما فعلته الخمر برأسيهما
ولسكنها حنقت فى الوقت ذاته على « لى »
التي لا تقدر النعمة التي من الله عليها بها
— وفى الزوج والولد — وقد حرمتها
هى وكانت خير من رعاها وتشكر الله عليها .
وعلى حين بغتة سمعنا صراخ طفل ينبعث
من الدور العلوى

بالزاوية المقابلة من الحجرة ، وكان نائما على
بطنه ، ويكي بحدة ، ولم يظهر من جسمه
إلا جزء من مؤخرة رأسه وقبضة إحدى
يديه فوق البطانية ، وكانت هذه الأجزاء محتمنة
فوقفت هناك أنظر إليه في ألم ،
وانهمرت دموعي غزيرة عندما لمست يدي
رأسه الناعمة ، وكلمت الله أنى كنت
منفردة بنفسى في تلك اللحظة

- وسكت الطفل قليلا ، واستأنس بأن
أحدا قريبا منه ، وفي عجلة أتت « جيري »
تترنح على السلم ومعها زجاجة غذائه ،
وأرادت أن تضعها في فمه وتعود بسرعة ،
فقلت لها : أقدر أنه مبلل الثياب ! فقالت :
هو دائما هكذا إما مبدلا أو جوعان . فلف
استوثقت من قولها أشرت بتغيير ملابسه
فطلبت إلى أداء هذا العمل ، وأسرعت إلى
كومة من الغسيل النظيف ملقاة على أحد
الكراسي ، وناولتني ما لزم للطفل ، ثم
طلبت إلى أن أباشر تغذيته أيضا لأنها تخاف
من الأطفال بوجه عام ، وتفرغها رؤية
« تدى » بشكل خاص لصالته حججه . فلم
أرفض ، وحملت الطفل المسكين إلى كرمي
بقرب النافذة لأعطيه غذاءه ، وغابت
« جيري » تاحية غرفة الحمام ، واستمتعت
بصحبة الطفل فترة ، كما عشت في لحظات
من أغرب ما صادفت في حياتي كلها ، فقد

فقلت « لى » بصوت قلق : إنه « تدى »
جوعان مرة أخرى . واستأذنت « نانس »
في أن تراه ، فأجابها « لى » إلى ما أرادت
قائلة : اصعدى إلى فوق وألق نظرة على -
الغول - ، وبعد أن همت لتصعد معها
جلست ثانية ، ونادت « جيري » وسألتها
أن تغذى الطفل هذه المرة لأنها متعبة جدا
ولا تستطيع أن تصمد السلم ، وتمتت قائلة :
هناك كثير من زجاجات التغذية بالثلاجة ،
بم كثير منها ، لأنى أملا زجاجات طول
اليوم ، وهذا هو العمل الابتكارى اللعين
الذى أؤديه الآن وأضيع وقتى فيه

وصعدت « نانس » بينما انجهمت
« جيري » إلى المطبخ ، وكان السلم من
النوع الذى يرى عادة فى المنازل المتينة ،
ذلك النوع الشامخ العميق الدرج وكان
موصلا إلى صالة صغيرة ، وأرشدنى صوت
بكاء الطفل إلى حجرة نومه ، وكانت أشد
شئ شها « بالسلاخانة » فكان السرير
الكبير غير مرتب ، والأحذية والملابس
الداخلية مبعثرة على الأرض . كما كانت
منقصة الزينة مغبرة بالعفار وبأنواع
المساحيق ، ومحملة بشتى زجاجات العطر
والحلى ، والمعائن والذرور ، وزيت للطفل
وزجاجات أخرى فارغة

وأخبرا وجدت الطفل البائس فى مهد

رعاية امرأتين ثملتين ! واستفسرت من « جيري » ونحن في طريقنا إلى السلم إذا كانت « لي » بخير ؟ وعما إذا كانت غير متأثرة من الإسراف في الشراب ؟ ! فأجابتنى مفرقة في الضحك : « لي » ! « لي » ؟ إنها لا تفقد شعورها أبدا ، وقد عرفتها من سنين طويلة ، وعجيب أني لم أرها مرة نمتة معها احتست من الشراب . فقلت : وهكذا أنت واثمة من طبعها ! حسن . ان أزيدك توصية بالالتباه إلى الطفل فإنه يحتاج إلى رعاية ، فلا تقصرا .. قلت هذا وحبل إلى أن عينها متقدتان غيظا ولكني لم ألحظ نبرة الدفاع في صوتها إذ قالت : ولكنه ابن لي أليس كذلك ؟ وعليها أن تعني به بأسبدة « نانس » يازميلة « بوب » في العمل بالمكتب بالطبع قالت هذا بطريقة الخاصة بالسير من طرف خفي ، بأن لا تدخل في شؤون الغير ، ولكني حاولت هجور آخر قبل أن أنهزم فسألتها إذا كانت تسمح لي بإعداد فنجانين من القهوة أو شيء من الطعام لها قبل أن أذرقهما ، فلم توافق على أن أشغل نفسي حتى ولا بالتفكير في هذه المسائل . وأكدت أنها ستمني بالطهر اليوم انمطى « لي » فرصة للراحة ، ودعتنى أن أبنى للعشاء ممهما ، وقالت : إنك طيبة القلب ورحيمة بالأطفال كذلك . فشكرتها ممتدرة

جلست في منزل امرأة غريبة عني ، وعنيت بطفل امرأة أخرى ، ومع هذا خيل إلى أني في منزلي والطفل ولدي ، وتمثل لي الخيال حقيقة لا ريب فيها ، بحيث أنني عندما نظرت إلى وجه « تدي » شعرت بالزهو والرضا اللذين تشعر بهما كل امرأة إذا ما وضعت طفلها الأول ، مع امتزاج هذا الشعور بالحب الصادق والحنو الدافق والشفغ الذي بدأت به حياته . كما أنني أحسست حينئذ بأنني إذا لم أعقب طفلا فيكفي أنني عرفت من تجربتي مع « تدي » كيف يكون شعور الأم التي رزقها الله ولدا وفرغت زجاجة غذائه ، وظهر عليه الاستعداد للنوم ثانية . وكما كرهت أن أتركه من بين ذراعي ، ولكن كان من الضروري أن أضمه في مهده ليسترخ . ووقفت أنظر إليه دقيقة أخرى قبل أن أتركه لينام وقدرت أني ربما أرى هذا المخلوق ألف مرة وقد لا أراه مرة ثانية . ولكني حرصت على أن أثبت في ذاكرتي إلى الأبد صورة ابن « بوب » كما رأيتها اليوم ، فقد كان ولدي أيضا اليوم وكنت قد انتهيت من دس الأعطية حوله ، حين عادت جيري إلى الغرفة آتية من الردهة متجهمة الوجه من الإسراف في الشراب ، وأقلق تفكيري ترك الطفل في

بأن لدى موعدا للعشاء في الخارج ويجب أن أذهب حالا

وسلمت على «لى» وقد صاحبتنى إلى إلى الباب بخطوات كأنها ثابتة

وما كادت تغلق الباب خلفى حتى شعرت بأنه كان يجب على أن أبقى . وبينما كنت أتردد في الأمر ، رت ميارة أجرة ووقفت أمامى في الطريق المهجور ، فصعدت إليها بدون تفكير ، وبلغت مسكنى سالمة ، وأقنعت نفسى بأنى عملت كل ما كان ممكنا عمله في الظروف التى وجدت فيها من ضبط النفس ، وهدوء الأعصاب ، ولم أهول فيما رأيت من سلوك الأم للطفل نظرا لإمعانى في كراهية «لى» خشية أن أتهم بالتعامل عليها .

على أن القلق على «تدى» ساورنى ثانية بعد أن ارتديت ملابسى استعدادا لموعد العشاء ، وتصورت فى وضوح أنه من الممكن جدا أن يسقط الطفل من بين يدي التمتين ، وقد تهملان عطاءه فيصاب ببرد شديد ، أو قد تتعثران به على السلم الذى لادربزين لها وخلصنى من وساوسى هذه جرس التليفون ، وكان المتحدث «جاك» الذى أكد أنه سيحضر فى تمام الساعة السابعة والنصف ليصطحبني فى سيارته لتناول العشاء . فلما انتهت المحادثة ، جال بخاطري أن أترك رسالة مدفونة «لأيدث ويلر»

لتمضى مساءها عند «لى» زيادة فى الحيلة نظرا لما مى وصديقتها عليه من حال ، فوجدتها وزوجها فى الخارج ولن يعودا إلا متأخرين فأسقط فى يدي وتركت الأمر لله لا ريب فى أن «جاك» أعد لنا عشاء شهيا فى تلك الليلة ، ولكنى كنت فاقدة الشهية ، ولا بد أن صحبتي كانت مملة . فقد تركت فى أفكارى كلها حول ذلك المنزل فى جورج تون ، ولم أذكر عن ذلك شيئا «جاك» وعدنا إلى مسكنى حوالى منتصف العاشرة ، وودعنى «جاك» عند بابه ، وآويت إلى فراشى فورا لأنى كون مستعدة لعمل فى صباح الغد

وبشرت عملى فى اليوم التالى وقد طلبت إلى الله أن يكون طالعه سعيدا ، ولكن القدر إذا نفذ فقد نفذ ، ودق جرس التليفون بالمكتب قبيل العاشرة بضع دقائق ، فجابه «بتي» وبدأ أنه سمع خبرا مروعا ، ثم سمعته يقول سأحاول الاتصال «بسان دييجو» لأخبره على الفور ، وقرر «بوب» العودة فورا على الطائرة ، ووضع «بتي» ساعة التليفون فى قنوط ونظر إلى «نانس» فى يأس وأمضى إليها فى صوت مختنق بأن ابن «آل بريسكوت» قد مات ! فأجابته بحنقة : لقد مات بسبب «لى» . وأمسكت بطرف الدرج حتى لا تسقط من فوق متعدها . ثم

سألته : وكيف اكتشف موته ؟ قال : وجد هامدا في مهده هذا الصباح غنوقاً أو شيئاً من هذا ، ولم تستغرب الأمر ، فلقد حسبت أنه كثيراً ما التفت بالفراش واختنق غير مرة . وقيد موت الطفل بسبب حادث ، وشيع الجثمان في جنازة بسيطة بعد صلاة قصيرة . وخاتمتي شجاعتي فلم أحضر الصلاة في الكنيسة على الجثمان . وعاد « بوب » إلى مكتب العمل بعد أيام قلائل ، وطلب إلى أن أذهب معه لتناول فنجان من القهوة فإقامة منتصف اليوم . فلما جلسنا منفردين في أحد أركان المقهى أسر إلى في إيمان : أن الله أراد في رحمة واسمة . فندرك « يانانس » . وظهر عليه أنه كان يجاهد في إخراج الكلام وهو يشرب القهوة في ذهول ، كما كان وجهه شاحباً هزلاً متعباً ، وانطبقت شفاته على خيط رفيع مر . وبدأ في نظري أكبر سناً بما كان قبل أسبوع ، وعاودني الحنين المضي إلى ضمه بين ذراعي

وكنت أفدأ أننا لا بد أن نتكلم عن موت « تدي » وإن لم يكن اليوم في وقت قريب ، ولكنني كرهت ذلك الحديث على أية حال . وأرقني ضميري وأسرف في اللوم ، حتى رغبت شديدة في الاعتراف لبوب وجاء أن يفقر لي تركي الطفل في تلك الليلة حتى أريح ضميري ! على أن

أي اعتراف من جانبي كان لا بد أن ينال « لي » وبقدر ما كرهتها ولعنيتها واعتبرتها المهمة الأولى في موت الطفل ، أحجمت كل الإحجام عن أن أفضي بذلك لزوجها . وأخيراً قال « بوب » أريد أن أحدث عن « تدي » « يا نانس » الذي لا يغيب عن بالي أبداً ، فقلت : بالطبع أقدر عواطفك تماماً وشعورك المرهف الذيل ، كما أحس بإحشائه لك . ولطفتك على فلذة كبديك ، الذي كان عمره كعمر الزهر فأنست به قصيراً ثم غاب مسرعاً . وإن هذا أشد على النفس مما لو لم يرزق الإنسان ذرية قط . فقال « بوب » إنك على حق فيما تقولين ، فقد كان هذا الولد كنزاً بين يدي واختطف مني بفتة ، وأشد إيلاماً من ذلك أنني دائم التفكير في أن موته ما كان ليحدث لو بقيت أما في المنزل لأعني به !

فطلبت إليه في نوسل ألا يعنف نفسه ، فإن الآجال محدودة . وقد يحدث الموت بدون سبب . ولا بد أن تتقبل هذه الأوضاع برضا فنظر إلى قاحصاً وقال : إن ضيق ناتج من أني غائز في ذهني كثيراً من الشكوك والخاوف ، فقد أصيب زواحي بالمشاكل ، ولعلك حررت ذلك ، ولكن شرب « لي » الخمر هو مسألة السائل . ثم أوماً لحظة وواصل حديثه بعدها في حرارة وأدب :

آلام ظنه بأن إهمال «لى» كان سبب موت ابنه
وقالت : لقد كان بخير عندما تركته .
وأكدت له ذلك قدر ما استطاعت - كما
كان كل شئ على ما ينبغي ، فلا داعى للوم
«لى» على ما حدث

جلس «بوب» ينظر شزرا فى القضاة .
وخشيت عليه الضر ، فقلت بصوت متهدج
دون إرادتى : لا تدع الحزن يولد مرارة فى
نفسك يا بوب . وستفجر السعادة ثانية ،
وسيكون لك أطفال آخرون أكبر قيمة
وأكثر معزة عندك ، بسبب أنك احتسنت
هذا الطفل بالذات

ونظر إلى لحظة ، وكأنما كانت عباءة
الرماديتين تفحصان وجهى ، ثم قال : فى
بطء بعد أن هر رأسه : إني أشك فى أنى
سأعقب أى أطفال بعد الآن يا نانس ما إن
«لى» تريد أن تعود إلى العمل (الوظيفى)
وتقول : إن العمل قد ينسبها كل الذى حدث ،
كما أنها من أولئك النساء اللاتى يردن أن
يكون لهن مستقبل ملحوظ ، وقد تكون
على حق فى هذا !

فسألته نانس عما إذا كان عارضها فيه
ابتوته . فقال : ليس هذا من شأنى ، وعليها
أن تقرر مصيرها بنفسها ، ولا سيما وأنى فى
هذا الوقت لا أهتم لشيء ، بعد موت تدى
الذى أصابنى بذهول ووحشة وشعور شديد

قال : لست أقصد أنها مدمنة ، ولكننا
كثيرا ما تشاجرنا من جرائه . ورجوت
بعد أن وضعت الطفل أنها ستكمل من
الشرب ، وكانت فعلا عند حسن الظن بها
فقد وعدتني بأنها لن تشرب عندما ودعتها
قبل السفر . ولكن لم تتوفر لها الظروف
لتبر بوعدها ، فقد حضرت «جيرى»
صديقتها القديمة ، والتي كانت صداقتها مخررة
بهما معا . وفى هذا اللقاء . اقترحت «لى»
أنه لا بد من أن تشربا إحياء لاستئنافها
اجتماعهما ، ولا شك فى أنه كان اجتماعا فاسدا
مسيبا للخراب . وعلى هذا لا أستطيع أن
أحالف حدسى فى أن ذلك سبب موت
الطفل العزيز . وهذا وأن احتساء بضع
كووس بسيطة من الخمر شئ ، أما احتساؤها
حتى العريضة فشئ آخر . أه لو أبقنت أنهما
لم تكونا كذلك عندما فارق الحياة ! وتردد برهة
ثم سألتني مصمما قال : لقد زدت منزلنا فى
يوم الأحد الماضى فأجبرني «يانانس»
كيف كان الحال آنئذ . وشعرت «نانس»
بأن اللحظة الحاسمة قد أزفت ، فإما أن
تخلص «نانس» «لى» أو تتجدها يقول
الصدق ، وبذلك تهدمها إلى الأبد فى نظر
زوجها . وأخيرا اتخذت قرارا حاسما وقالت
الشيء الغريزى الذى تقرره أية امرأة مخلصة
فى حبها لرجل فكديت عليه لتخلصه من

أنى متطفل عليك بهذا السؤال، وقد وعدتني بأن تتبلى ملاحظاتي بصدر رحب، ثم قال فى جفاء: وهكذا قد ربت لك جبرى برناج الرحيل إلى نيويورك معها، كان على أن أقدر هذا من قبل! هكذا قد صممت قبل أن تناقش الموضوع ممي!؟ حسن لا أريد أن أعرض سبيلك فى تكوين مستقبلك — إن كان سيكون لك مستقبل — وقد نلتقى عندئذ. ثم ألقى السماعة

وكنت أسير فى طريق نحو الباب، فسألنى فى ذهول: أذهبت لتتغدى؟ فقلت لا، أريد أن أرى الرئيس لبضع دقائق ولما قابلته أخبرته بأنها لا تريد النقل الآن فقد غيرت رأيها. فلما عادت إلى المكتب... قالت: لقد وجدت بوب واقفا عند النافذة ينظر محققا، ثم خاطبني فجأة: تعالى لتناول الغداء معا «يا نانس»، وسنذهب إلى ناحية ما من المديفة. إني أريد أن أحدث إليك، بل فى الواقع أريد أن أسكى بين يديك! فقلت: إني أسمح لك بأن تفضى إلى بما تريد كلما أردت، وكان موقفه هذا أكبر مشجع لى على إبداء أى تصريح «لبوب»، ولن يكون الأول والأخير فقد عوات على مضغعة الجباهى وجهودى العملية بشكل واضح صادق لمنافستى إياها فى حب زوجها

ولم يعد لدى ما أعيش من أجله بعد الآن فقالت نانس: قلت لنفسى إنه تكلم بخدر وفى مضض، وغير بصوت خزين لا يقصد إلى أى معنى، وليس فى ذلك من يحب، فإن الحب يقضى على أى عهد متين بين شخصين، ولكن ربما زالت شكوكه فى لى بعد أن تنكسر حدة المصيبة كما يذهب معها شعوره باليأس والمرارة لفقد الطفل ومن يدري؟ فقد أستطيع أنا المرأة التى أحبته فى يأس، أن أحبه من الزواج بالمرأة أخرى إذا ساعدنى الحظ وقدر لى أن أبلغ ما أريد، فسأكفر عما أكرمت بإهمالى تدى ومرت بضمة أسابيع، وحدث ذات يوم بينما كنت وبوب مجلس فى مكتب العمل إذ دق جرس التليفون، وكانت المتحدثة فى زوجته. ولم يكاد يتبادلان بضع جل، حتى شعرت بدقات قلبى تتزايد فى اضطراب. وفهمت أن الفرصة الذهبية التى ألتحها لى لتجمل حياتها الزوجية كانت على شفا حفرة سحابة ستطرحها فيها، وسمعت يسألها: أين أنت؟ قالت: إني فى الباخرة (ماى فلور) مع جبرى. فسألها: ومتى ترحل السفينة؟ وعقب ذلك فترة صمت طويلة شعرت أثناءها بتوجة من الترتت تسود الحجرة. وأخيرا قال فى صوت كأنه يخاطب نفسه: ما مقدار ما احتسيت يالى؟ إنك مخطئة إذا حسبت

فقلت على الفور : ليس في ذلك ريب ،
ومددت إليه يدي ، وأمسكت بيده ،
ونفضت من مقعدي ، وقلت إني أعيدك
بالسعادة ، فقال : إني فعلا أشعر ببعض
الاطمئنان الآن ، وكان يداعب أصابع يدي
ولكنني ارتعبت لحاجة من هذا التماس ،
وسحبت يدي من يده

فلما نظرت إلى أعلى ، رأيته يرمقني
بابتسامة لطيفة ، ووثقت من أنه قدر أني
أحببته حباً غامراً في صمت ، شهورا بل
أعواما

يا إلهمي — لقد واثقتي الفرصة التي
سأعوضه فيها من كل ما فقدت . وسأ كفر عن
كل ذنوبي إن كان لي ذنوب ، وسأصلي من
أجل (ندي) و(لي) وسأشكر الله أن جعل لي
الحق في بوب فسأطوقه بذراعي ، وأعقد
عليه من القبل ، وأبدد قلته وأعوضه
أحلاما سعيدة

زينب الحكيم

عن مجلة modern romances الأمريكية

كانت « لي » بـنيويورك منذ شهرين
وما زالت في عصمة « بوب » وربما حاولت
التمسك به على الرغم مما بينهما من تباعد ،
إذ ربما لا تزال تحبه على طريقتها الملهكة ،
أو قد تلتحق بالوظيفة وتحفظ بزوجها في
الوقت نفسه ، أما أنا شخصيا فلا أريد إلا
« بوب » كما أرى على استمداد لأن أمنحها
كل ما أمتلك . واللهم هو أن أتعلم على
كل شيء يحدث حتى أكون المرأة التي لا بد
أن يحتاج إليها ويحبها

وقال بوب مرة أخرى عندما كان بجانب
مصعدني : ماذا حدث لك يا نانس ؟ إنك
متلاثلة الميدين بشكل غير عادي لا تقالت
في بشر ! ليس لي من شيء ، ولكن أشعر
بسعادة مفاجئة ، فسألها لماذا ؟ قالت :
لست أعرف تماما لماذا ، وهل يجب أن يذكر
المرء أسبابا لشعوره بالسعادة ؟ ! فقال :
ليس ذلك ضروريا . واختلجت ابتسامة روحية
حول شفتيه ، ثم قال : وهل تعتدين أني
سأشعر بالسعادة ثانية بسبب أو بدون سبب ؟



مَلِكُ أَشُورِيَا

لترسوى

بقلم الأستاذ مصطفى جليل مرسي

ينظر إليه بعينين تنبعث منهما الرزاة
وتقيض الوداعة ويسيل اللطف !
لم تمض برهة حتى علا صوت الشيخ
وهو يسأل في هدوء :

أتود أن تقتل لابلِي ؟

فأجاب الملك والدهشة تتنازع مشاعره :

أجل . ولكني لا أجد وسيلة لذلك !

فقال الشيخ : ولكنك أنت لابلِي

فأجاب الملك : هراء . لابلِي هو لابلِي ..

وما أنا إلا أنا !

فقال الشيخ : بل إنك ولابلِي شخص

واحد ! ولعله الوهم الذي يصور لك أنك

لست لابلِي !

فبلغ العجب والدهش بالملك إشرخادن

حدا جملة يصيح بالشيخ قائلا :

ماذا تعني ؟ ها أنا جالس هنا على

أرائك ناعمة لينة ، محاطا من كل جانب

بالعبيد والقيان ! وسأقيم الغداة مأدبة نفخة

أدعو إليها خاصتي ومعجبي المخلصين ، فتلهمو

ما شاء لنا اللهم وتصف كحالتنا كل يوم !

أما لابلِي فهو ملق كالطائر المهيض الجناح ..

لم يكذب « إشرخادن » ملك أشوريا .

يفوز بالنصر المبين على مملكة عدوه السلطان

« لابلِي » وينزل به هزيمة نكراء ، حتى

تملكه الطغمان والانتقام ؟ فانطلق يخب

البقاع ويحرق البلاد ويشيع الفناء في كل

الأرجاء ؟ بل أمعن في إزال تقمته بهذه

المملكة ، فأمر رجالها وسبي نساءها ،

وساقهم أمامه كإهائم إلى مقر ملكه ،

حيث ضرب رؤوس الجند وذبح فريقا من

الأمراء والرؤساء ذبح الشاة ، وسلخ

بشرة بعضهم ومارات عروقهم تنبض بالحياة !

ولم يسلم الملك لابلِي نفسه من شر تقمته

ونذر عدوانه . فقد حمل مكبلا بالأغلال

حييسا في قفص كالوحوش الخارية

وبينما كان الملك إشرخادن ضجيجا في فراشه

الوثير ذات ليلة يستلهم فكره ويستوحى

جناحه وسيلة بشمة للنضاء على لابلِي ؟ إذ

طارق ساممه خفيف يدنو منه ويرف من

حوله ! فأنبه بنقته وفتح عينيه فترأى له

شيخ مهيب الطلعة عظيم الوقار ذو لحية

مرسلة وحطها الشيب فزاد من هيئته وجلاله

حبس في قفصه يترقب مصرعه بين لحظة وأخرى ! حيث يسليخ جلده ويملق من لسانه في الفضاء فيظل يناضل حتى يطويه الموت بعد عذاب أليم يمرى جسده للكلاب الجائعة تنهشه نهشا وتخرقه إربا !

فتبسم الشيخ ، وقال في صوت تشوبه سخرية هادئة :

أتحسب أن في وسعك أن تمدمه الحياة ؟
فأجاب الملك : فما حال آلاى القاتلين من أعدائى الذين بطشت بهم وسللت أرواحهم من أجسادهم خلعت منها روابى وأكواما . إن الحياة ما زالت تمور في جسدى أنا . اماهم فقد صاروا أثرا بمدعى !
أما في هذا دليل مبين على أن في قدرى أن أسلب الحياة ممن أشاء !

فقال الشيخ : أو تحسب حقاً أنهم صاروا أثرا بعد عين ؟

فأجاب الملك : أجل .. إذ أن طرفى لا يقع على أحد منهم ، بعد أن أذيقوا من العذاب ألوانا مريرة .. بينما أجسد نفسى سعيدا في قصرى لا عما بالحياة !

فقال الشيخ : ما هذا إلا وهم وخيال .. وما عذبت إلا نفسك !

فقال الملك : بلى لا أحير لك فهما ولا أستطيع لك إدراكا أيها الشيخ

فقال الشيخ : أى نفسك رغبة إلى الفهم

وشغف بالمعرفة ؟

فأجاب الملك : أجل أيها الشيخ الوقور !
فقد الشيخ أماله مشيرا إلى عين يرفض منها الماء وهو يقول : تعال معى ! فبهض الملك من رقبته ودنا من العين .. فواصل الشيخ حديثه :

هيا اترع ثيابك وغص في هذا الماء
فصدع بشر خادن بما أمره الشيخ الذى مالبت أن قل - وهو يعلأ إربقا من الماء -
يجب عليك أن تمد رأسك تحت الماء
عندما أصبح

وأمال الإبريق على رأس الملك فسا إن وضع بشر خادن رأسه تحت الماء المساقط حتى اكتنفته إحساس غريب وانتابه شعور مبهم .. هو أنه ليس بشر خادن بل كائنا آخر
فقد رأى نفسه - وما برح هذا الشعور اليهم مسيطرا عليه - راقدا على سرير نخم ضخم .. وإلى جانبه امرأة ذات فتنة باهرة وجمال حداد .. لم يقع طرفه عليها من قبل
بيد أنه لوى في روعه أنها روحته

وبعد غنينة فمت المرأة ، وهى تقول في صوت رقيق عذب :

زحى المرير لالى .. لقد برح بك
التمن من الأمل التى قت بها أمس
فانخرقت في نوم عميق عجز غير عادتك .. ولم أحاول إيقاظك حتى تصيب من الراحة

وقضى فيها بما ارتآه حتى أحس في نفسه
رغبة إلى الصيد والقنص فأمر بأن تعد المدة
لذلك ، ثم انطلق — يحف به الأمراء —
إلى العاية .. ورمى بسهامه قطيعا من الخمر
الوحشية فأصاب الكثير منها وعاد إلى
قصره .. فأقام مأدبه أعقبها حفلة راقصة
أناحت له لموا ومتعة

وفي اليوم التالي أادر إلى إيوانه حيث
فصل في الشكايات التي ترفعها رعيته إليه ،
وحد في القضايا الهامة التي تعرض عليه ..
بما هداه إليه الحق والعدل ، بعد أن حقق
أقوال الدعين واستبان منهم الصدق ! فلما
فرغ من شؤون ملكه .. مضى إلى مسلاته
الحبيبة (الصيد) فأصاب رميته لبؤة عجوزا ،
فقتلتها وحمل معه شبلها ! وانثنى إلى قصره
المنيف حيث أولت له ولأصدقائه الموائد
الحاملة .. وهيئت لهم الحفلات الرقصة التي
تقلو فيها القيان عن دلال يشير الإعجاب
وإغراء يبعث النشوة .. وتطرب النفوس
بأغاني المشددين وألحانهم .. ثم قضى الملك
ليلته مع زوجه الحسنة الفاتنة التي ملأت
قلبه حبا لها وشغفا بها !

واقضت أيامه على هذا النوال .. ينهض
بأعباء الملك ومهامه في الصباح وينثنى إلى
اللهو والرح في المساء .. ويهجم إلى زوجته

قسطا يرول معه ذلك العنا .. غير أن الأمراء
يستظرون أن تشرقهم بلقائك في القاعة
الكبرى .. فيها ارتد ثيابك واسع إليهم
وأدرك إشرخادن من هذا القول أنه
لا يلي .. بيد أنه لم يتوله العجب .. وإنما الذي
أثار بهشته هو أنه لم يدرك ذلك الأمر من
قبل .. وقام إلى ثيابه فلبسها وانطلق في
سبيله حتى بلغ القاعة الكبرى حيث ألقى
الأمراء بترقبهم حضوره .. فلما ولج بابها
تهضوا جميعا وحذوا هاماتهم حتى كادت أن
تلامس الأرض تحية وإجلالاً لملكهم لا يلي ..
ثم اتخذ كل منهم مجلسا بعد أن أذن لهم
بذلك ونهبا أكبرهم سنا للحديث .. فقال
وفي سوته حدة لا تحق :

إن الصبر قد عيل يا مولاي إزاء تلك
الإهانات التي يلاحقنا بها الملك الأثيم
إشرخادن .. ونسئ على أنفسنا احتمال الضيم
وتقبل العدوان الذي يلاقينا به في كل مكان
ومن الواجب أن نرد إليه إهاناته بثملها ..
فنشنها عليه حربا عوانا — يكون فيها
القضاء عليه والفناء للكه

فلم يصادف ذلك الرأي هوى في نفس
الملك لا يلي .. بل أمر أن تبعث من لدنه وفودا
إلى الملك إشرخادن لتحتج عنده على ما حدث
فيصالحها على الخير !
وما انتهى من النظر في شؤون الدولة

إذا ماجن الليل ! حتى إذا ما انتهى شهر ..
آبت الوفود التي معها إلى الملك إشرخادن
فإذا بها مجسدة الأنوف مقطوعة الأذان
مشوهة الوجوه .. وأخبره الرجال أن الملك
إشرخادن قال لهم إن الذي حل بهم سوف
يلقاه الملك لايلي نفسه .. إذا لم يبادر برفع
الهدايا إليه ، ويبيع له بالجزية من الذهب
والفضة وأشجار السرو ، ويسمى بذاته
أيؤدي له فروض الطاعة والولاء .

فشارت لذلك نفس الملك لايلي -
إشرخادن من قبل - وعصف به الغضب
وهزه الحنق .. وجمع الأمراء وعظماء الدولة
فأشاروا عليه بأن يشن على إشرخادن
الحرب ، ويتقدمه بالمجوم في عقر مملكته
قبل أن يسبقه إلى ذلك ... فوافقهم الملك
على قولهم ، ومشى على رأس جيش في سبيله
إلى مملكة إشرخادن ، واستقرت الحملة في
سيرها سبعة أيام .. كان الملك إبانها يطوف
بالجند يشجدهمهم ويحث فيهم الحماس ويشير
في قلوبهم القوة والشجاعة ويستحثهم
إلى النصر ...

وفي اليوم الثامن .. التقى الجيشان ..
والتحم الجمعان في واد عميق .. يتدفق في
وسطه نهر تتحدر مياهه في شدة وفي عنف ..
وقد حارب الجند في بسالة فائقة وقاتلوا في
شجاعة خارقة ... ولكن الملك لايلي

- إشرخادن من قبل - شاهد جنود
عدوه تتحدر من سفوح الجبال كاللحم
وتتدفق كالماء ، فلم يلبثوا أن هزموا جيشه
وأزلقوا بمسكركه خسائر فادحة .. ولكن
حنوده - على الرغم من ذلك - لم يترأ
عن القتال لحظة .. بل صالوا ودافعوا إلى
آخر رمق في الحياة أو إلى أن يقتل عليهم
ويجردوا من سلاحهم ..

وكان الملك لايلي نفسه يحارب في حرأة
ويقاتل في أس على صفوف جواده الأشهب ،
بيد أنه ما لبث أن حر صرهم ووقع
في الإسار ...

ثم حمل إلى مدينة إشرخادن في قفص
يحرسه بعض الجند الأشداء ، وسبق معه
كل من ظل على قيد الحياة من رجاله ومن
رحل سبياً من نسائه .. حتى إذا كان اليوم
التاسع .. اغوا بهم المدينة بعد رحلة
شاقة عنيفة !

وقد عانى لايلي - في محبسه - ما أصاب
من جروح وآلام ، وكابد ما ألم به من
قرصة الجوع وحرقة العطش .. غير أن كل
ذلك لم يكن يقرن بالذلة التي برحت به والمار
الذي استشرته نفسه لما ياء به من هزيمة
وخسران ...

وكان كل ما يطيقه إزاء أعدائه - وقد
جردوه من قوته ومرغوا عظمتهم - أن

التي أحيط بها وراح يحبط رأسه
فيها مبتغيا الموت غير أنه لم يجد لديه القوة
التي تمنحه على ذلك .. فاقبل يئن في يأس
وانكفاً ينتحب في لوعة !

وأخيرا أتاه رجلان من الجلادين ..
فقيدها بحبال غليظة ، وانطلقا به وهما
يدفعانه أمامهما إلى ساحة الإعدام ..
حيث ألقاها ملطخة بالدماء مليئة بجثث
رجاله وقد علقوا من الرقاب ! ثم أبصر وتدا
من حديد قد ركز في الأرض ، فأدرك أن
الموت يترقبه من فوقه ، ومالبث الجلادان
أن أسكبا بلابل من حباله ورفعاه إلى أعلى
ثم حليا بينه وبين الأرض ، فهوى فوق
الوند ! ..

فصاح لايلي : إنه الموت .. فرحماك
يا إلهي ! ثم انفجر باكيا من الألم ، والدم
يتدفق من جراحه ونسي ما كان من عزمه
على التجلد ، وراح يتضرع إلى ربه أن
ينجيه من هول هذا العذاب ، وأخذ يتوسل
إلى من حوله أن يرحموه ! دون جدوى !
غير أنه مالبث أن صرخ من فرط الألم
والفرع لا يمكن أن يكون هذا حقيقة !
إنه حلم .. لا بد أني نائم .. وطفق يكافح
في غير هوادة حتى يفيق إلى وعيه وشوب
إلى رشده !

يحرمهم اللذة في رؤيتهم له يئن ويتأوه ..
فتجلد وكنم في قلبه أشجانه وأمسك على
نفسه آلامها .. ونحمل في بسالة وشجاعة
كل ما أذاقوه من عذاب !

وظل عشرين يوما يتوقع الهلاك بين
عشية وضحاها .. قابما في قفصه ينظر ذويه
ورجاله ... وهم يساقون إلى الموت زمراً
ويسمع صراخهم وهم يمدبون في غير رحمة ،
فيفت ذلك من عضده ، وكان حراسة يأتونه
بنياً قتلهم وسلخهم - وهم أحياء - وقطع
أيديهم وأرجلهم من خلاف ! يبد
أن كل ذلك لم يحمله يسفر لهم عن الفجيرة
التي تحتاج نفسه أو يكشف عن الحزن الذي
يخنق فؤاده ... بل إنه رأى زوجته الحسنة
أحب الخلق إلى قلبه - يقودها بعض
(الخصيان) .. فأدرك أنها في سبيلها
لتكون حظية (إشرخادن) .. فلم يوهن
عذا أيضا من تجلده وإظهار عدم المبالاة
لأعدائه -

ولكن الذي أثار حفيظته وأفقدته
هدوءه ، قول أحد حراسه له في سخرية :
كم أرتى لك يا لايلي ! أين ما كنت
نشمخ به من ملك وتختال فيه من سلطان !
حينئذ حر في نفسه ما آل إليه أمره .. وعز
عليه فداحة ما فقدته .. فأخرجه ذلك عن
طوق احتلاله وتجلده ، فأمسك بالقضبان

آخر جمعه يخر صربا والدم ينزف من جرحه
غزيرا فلم يتدخل إشرخادن — وهو أنان —
عن ولده بل مكث جواره لا يحير لأله
ما يخفف من شدته .. فحاول الجحش أن ينهض
على قوائمه الطويلة الرفيعة .. ولكن ما لبث
أن تساوى إلى الأرض خائر القوى واهن
الجسد ! فأسرع نحوه مخلوقان يسمى كل
منهما على ساقين — من البشر — وعجلا بذبحه
في غير شفقة .. فما لبث إشرخادن أن ردد في
اضطراب وهلع : « كلا .. لا يمكن أن يكون
هذا حقيقة ! إنه رؤية حالم .. فما أنا بلابلي
كما أنى لست «أنا» .. وإنما أنا إشرخادن ! »

حاول إشرخادن أن يخلص نفسه مما
اكتنفها .. فأخذ يناضل وراح يصرخ ..
فما لبث أن ألقي ذاته واقفاً في ماء العين !
وما برح الشيخ قائماً يصب قطرات الماء على
رأسه من إريقه ! فهتف وما زالت جوائحه
تختلج بالخوف وقلبه يخفق بالروعة : آه ..
يالها من رؤيا مخيفة .. أى فزع غابيته منها !
كم استعرق من الزمن ! لا فأجابه الشيخ في
هدوئه وابتسامته : زمن ! إياك لم تسكد
تضع رأسك تحت الماء التناظر حتى جذبت
في شدة ولم تمض لحظة .. أنظر .. إن الإبريق
ما زال مملوئاً بالماء .. أفهمت لا !
لم يجب إشرخادن ! فقد حمد لسانه في

فإذا به يلتقي نفسه شيئاً آخر .. لا هو
بإشرخادن ولا هو بلابلي ! بل حيوانا !
فتولاه العجب وتلكته الدهشة ! كيف
أنه لم يكن يعرف من قبل أنه حيوان
لقد كان قائماً في واد نصير رعى العشب
الأخضر ، ويدب الهوام عن جسده يذيله
الطويل ، ولكن أه ! إنه رأى إلى
جواره جحشاً رمادى اللون مرقش
الظهر .. طويل السوق رفيعها .. يرتع
حواليه ، ثم ما لبث أن أقبل عليه ودفع
رأسه في بطن أمه (إشرخادن) وتناول
بشفيه الصغيرتين نديها ، وراح يمتص
منه اللبن !

ففطن (إشرخادن) إلى أنه قد صار
أنا ! وأن ذلك الجحش الذى يرتع
في ظلها ولدها : ، فلم يثر ذلك في نفسه
نواعج الحزن ولم يحرك دواعى الاستغراب
بل أشاع في نفسه بهجة وحنوا !
وعلى حين عرة ! برق شئ في الهواء ثم
أصابه في جانحه وفقد في لحمه فأحس له أنما
بالع الحدة فانطلق يمدو يمدو بعد أن أرهف أذنيه
نحو الجهة التى أتاه منها السهم إلى وجهة
أخرى ! وجحشه الصغير يتوالب وهو
يجرى إلى جانبه !

فما كادا يبلغان القطيع الذى تفرا منه منذ
حين حتى أصيب الجحش في عنقه بسهم

وأنت تريد في خيرها وسعادتها على حساب
حياة غيرك وشقايتهم !
إنك بهذا تصغر من شأنها وتجملها
ضئيلة حقيرة !

إن إغناء الحياة التي تمكن في الخلق
أعظم وأجل من أن يستطيعه فرد من البشر
في مثل قواك وملاكوتك .. إن حياة
هؤلاء الذين ذبحتهم لم تزل إلا في نظرك
أنت ! إنها لم تفن ولم تصبح أثرا بعد عين
كما خيل إليك . أو اعتقدت أن بإمكانك إطالة
حياتك وتقصير حياة الآخرين .. هه ! إنك
إذن لساذج في وهمك .. فأنت بمستطيع ذلك !
فالحياة لا تعرف أواما أو مكائلا .. إن حياة
لحظة مثل حياة آلاف السنين .. وحياتك
مثل حياة الآخرين على حد سواء ! ولا يملك
أحد للحياة إنهاء أو تبديلا .. فهي التي
الوحيد الأبدى الوجود . الدائم الخلود !
لم يكذب يفرغ الشيخ من حديثه وينتهي
من حكمته حتى تلاشى بفتة من حبث أنى !

وفي اليوم التالي أصدر إنسرخاذن أمره
بإخلاء سراح الملك لالبي ومن بقي من
الأسرى والسبايا .. وبإعادتهم مكرمين
معزين إلى بلادهم .. وأعلن في الناس أنه
لن يعدم إنسانا منذ اليوم ! ثم دعا ابنه
(أشور باتيال) فقلده السلطان .. و نادى

فيه وراح يمد إلى الشيخ نظرات من الدهشة
والفرع .. فواصل الشيخ حديثه بعد هنيهة
قائلا : هل أدركت الآن ؟ وعلمت أن لالبي
هو أنت ؟ وأن جنده الذين قتلهم هم أنت
أيضا .. ليس الجند وحدهم .. بل الحيوانات
التي ترميها بسهامك فتوردها مورد الهلاك ،
وتتخذ من لحومها طعاما لك ولأضيافك ..
ما هي إلا أنت ؟ لملك كنت تحسب أن
الحياة لك وحدك .. بيد أني - وقد حسرت
حجاب الوهم والتصور الكاذب عن
بصيرتك - جعلتك ترى أن الشر الذي
تحاول أن تصيب به غيرك من الخلق إنما
يرتد إليك ويحقق بك أنت !

إن الحياة واحدة عند الخلق جميعا .. وما
حياتك إلا شطر ضئيل كل الضالة - من
هذه الحياة العامة ! وليس في وسعك أن
تؤثر إلا في شطرك هذا وحده .. تريد أن
تقصه .. وتسى إليه أو تسعده !

إنك تستطيع أن تقوم من نصيبك هذا
بإزالة الحدود التي تفصل بين حياتك وحياة
الآخرين فتتنظر إلى حياتهم كما تنظر إلى
حياتك ، وتحب لحم ما تحب لنفسك ، وتسعى
بهم بالموودة والمطف والحنان ! بهذا يمكنك
أن تضاعف نصيبك من الحياة !

واعلم أنك تؤذي نفسك وتضر حياتك
باعتقادك أنها هي الوحيدة في هذا الكون .

الورقة الثالثة عشر

للتأليف: إبراهيم بن علي بن إبراهيم

قال إنه يرجو أن تتصل به في سرعة
فقال سليمان لرفاقه وهو يتهدد أسفاً
احتفظوا بكاني على مائدة اللعب فسألم
الدور الثاني ولست أدري لم يطلبني مشنجهام
هذه الساعة من الليل وعلى هذه الصورة
وأمسك جاسبر سماعة التليفون وقال

إنه أنت يا مشنجهام كما أظن ؟
فأجاب مشنجهام : هل يشغلك الآر
عمل هام يا جاسبر ؟

فقال جاسبر : لا .. لقد كنت بسبيل
أن ألعب البردج

فقال محدثه : وكنا هنا كذلك بلعب
ولكن يظهر أن القدر تدخل بيننا
أنتستطيع أن توافيني على محل في رقم ١١
بأبنية كنتنجهام ؟

فأجاب سليمان وفي لهجته شيء من الفتور
أقصد الآن أم ترى أنه يمكن أن أرى
بعد حين ؟

فقال مشنجهام : أقصد أن نجى هذه
اللحظة .. لركب أسرع سيارة أجرة تصادفك
فقد حدث هنا أمر لا نستطيع أن نفهمه واعتقد
أنك خير من يميننا .. إلى شديدة الأسف

بينما كان جماعة من الرجال بينهم جاسبر
سليمان يتأهبون ذات ليلة ليأهبوا الورق في
حجرة بأحد الأندية إذ دخل النادل الحجره
وفي وجهه سماعة المستعجل فنادى السيد جاسبر
فأثلا سيدي إن شخصاً يطلبك في التليفون
على عجل

ولكن جاسبر تباطأ مفكراً ثم قال :
تليفون في مثل هذه الساعة ؟ أعرفت
من المتكلم ؟

فأجاب النادل : إنه لم يذكر اسمه باسمي
ولكنني أظنه صوت لورد مشنجهام .. ولقد

به ملكا على (أشوريا) بدلا منه
أما هو .. فانطلق إلى صومعة في الصحراء
فزمها يفكر ويتأمل فيما تلقاه من حقائق
وما يلقه من علم .. ثم ما لبث بعد حين أن
راح يحبب البلاد ويجول في البقاع .. يدعو
الناس إلى الخير ويأمرهم بالمعروف .. ويعلمهم
أن الحياة واحدة في كل الخلق .. وأن الإنسان
إذا ما أراد أن يصيب غيره بأذى فما يصيب
إلا نفسه .. ولا يحيق الشر إلا بصاحبه !

مصطفى جميل مرسى

ولكن

فقال جاسبر : سأحضر الآن

وأرسل جاسبر اعتذاره إلى رفاقه وأسرع
فارتدى معطفه وقبعته واستقل أول سيارة
سادفته إلى كمنجنهام . وكان البناء الذي
يقصد إليه جاسبر صغيرا بالنسبة إلى ماحوله .
كان يتألف من طوابق ثلاثة ، أما أسفله
فكان دكا كين كله . وكان الطابق الأول
مكاتب مختلفة ، وكان الثاني شقة مسكونة .
وكان لورد منشجنهام الأعزب يسكن في
الطابق الثالث

ولاحظ سلين وهو يدخل هذا البيت
أن نمة بعض القلق والضيق يبدو على
وجهي عامل المصعد وحارس المبنى .
على أن سلين لم يسأل أحدهما عن شيء .
ودخل المصعد مسرعاً ثم خرج منه عند باب
الطابق الثالث ولقيه خادم منشجنهام في
مدخل الشقة وأخذ منه معطفه وقبعته ، ثم
قدمه إلى حيث كان يجلس سيده ، فنهض
منشجنهام وفي وجهه حيرة وقلق وفي عينيه
ذبول واستقبل صديقه وأجلسه على مقعد
بحوار مائدة اللامب ، وكان يجلس حولها
رجلان آخرون ولم يكن يشغل المقعد
الرابع أحد

وقال منشجنهام لصديقه : حسنا فعلت
إدخلت الآن . إنك تعرف هذين فيما أظن

فأوما سلين برأسه موافقا ، وتبادل
إيماءات التحية مع الرجلين ، وكان أحدهما
جورج برت أحد كبار وزارة الخارجية
وكان الثاني مارتن فبس عضو البرلمان
ورئيس كثير من الشركات الهامة ومن
ذوى الشهرة العالمية في شؤون المال . وقد
لاحظ سلين منذ دخوله الحجرة أن هناك
شيئا ما يتصل بذلك المقعد الخالي

وقال جاسبر ملازحا ماذا تصنعون هنا ؟
أندبرون مؤامرة لقطع بعض الرقاب ؟
فأجابه منشجنهام : إننا نخشى أن يكون
هناك من يفعل ذلك غيرنا ... لقد جلسنا
للمب منذ ثلاثة أرباع الساعة وكان يامب
معنا كارتريت . إنك تعرف روني كارتريت
بالضرورة .

فأجاب سلين : نعم . . أعرفه
وعاد منشجنهام يقول : ما كدنا نوزع
الورق حتى دخل الحجرة خادى تومسن
يقول إن شخصا يريد أن يكلم كارتريت في
التليفون فنهض كارتريت معتذرا إلينا ،
وكانت ورقاته بيده وكان يرتبها وهو ينادر
الحجرة ... وأنت تعلم أن التليفون في
الحجرة الصغيرة المجاورة .. إنى أعلمك بهذه
التفاصيل إذ ليس لدينا ما نعتمد عليه غيرها ،
وربما وجدت في أمر تافه مما أسرد ، ما يمينك
على الفهم ...

فيه الأميرة مادرويل وهي سيدة عظيمة
الثراء مزيج في جلسيتها من الروسية والبولندية.
ويجعلنا مقامها هنا نرى دنيا العلية وحسبك
أن بعض زائريها من قصر بكنجهايم نفسه
وسأله سلين في اهتمام : أيعرف كارتريت
تلك الأميرة ؟

فأجاب منشنجهايم : كلا إلى وائق من
أنه لا يعرفها فقد سألتني حين كان هنا
آخر مرة قبل هذه عمن يسكن في الشقة التي
تقع تحتنا . والآن ماذا ترى أيها الصديق ؟
الدكاكين منفلقة والمكاتب منفلقة خالية ،
وشقتي لم ندع فيها مكانا إلا قتشناد ، وشقة
الأميرة لا يسكن فيها غيرها ، وهي كما قلت
لك سيدة معروفة ، تمشي عيشة هادئة
ولا تخرج قط من مسكنها بالليل . فأين
ذهب كارتريت إذن ؟

وأشمل جاسبر سلين سيكارة ولبث لحظة
يفكر ، ثم نهض كأنما وصل إلى رأى .
وذهب إلى حيث يوجد التليفون ، فوجد
ورقات كارتريت في موضعها كما ذكر
منشنجهايم ؛ ولكنه حين عدها وجدها
اثنتي عشرة فقط ، فأخذ يبحث عن الورقة
الناقصة تحت المنضدة وحولها وفوق البساط
وتحت أطرافه ولكنه لم يجد شيئا . ورد
الورقات إلى موضعها ، وتناول سماعة التليفون
ووضعها على أذنه وأصغى فلم يسمع شيئا ،

فقاطعه سلين قائلا : نعم ... نعم ...

استمر

فقال منشنجهايم : وانتظرنا دقيقة أو
دقيقتين .. ثم مضت خمس دقائق ، ثم عشر ،
ولم يعد صاحتنا وأخذ القلق يساور هذين
الصديقين فهضت لأنظر أين ذهب كارتريت.
ولكني لم أجده ، ورأيت ورقاته على المنضدة
الصغيرة بجوار التليفون . فناديت باسمه فلم
يجب أحد ، ثم بحثت عنه في الشقة كلها
وبحثت معي خادمي نومسن فلم نعثله على أثر.
وزلت إلى الطابق الأرضي وسألت حارس
المبنى وكان يبحث يرى كل داخل أو
خارج ، فقال إنه لم يغادر حجراته منذ أكثر
من ساعة ولم ير أحدا يدخل البيت أو يخرج
منه . وخلاصة القول ياسيدى أنها قصة جد
سخيفة .. ولكن كارتريت قد اختفى في

غير سبب

فقال سلين مبسدا : أظن أنه في هذه

الدة لم يبعد عنا بعدا كبيرا !

فأجاب منشنجهايم قائلا : وهذا يسهل
عليك البحث عنه . إنك تعرف جغرافية
هذا المبنى فيما أعتمد . فالدكاكين في الطابق
الأرضي وهي منفلقة منذ أكثر من ثلاث
ساعات ، والمكاتب في الطابق الأول وليس
فيها أحد منذ ساعتين على الأقل . أما الطابق
الثاني وهو الذي يقع تحت شقتي هذه فتسكن

حديثه يا سيدي

فقال سلين في هدوء : هذا حسن ..
أبلغني اللورد أن مستر كارتريت قد اختفى
وسألني أن أبحث عنه ، فإذا عرفنا من كان
يكلمه سهرل علينا الأمر

فقال الخادم : آسف يا سيدي إلى حقالم
أسمع شيئاً من حديثه

فسأله سلين : ألم تلاحظ شيئاً من
الاضطراب على وجه مستر كارتريت أثناء
الحديث أو بعده ؟

فقال الخادم : لا أستطيع الإجابة على هذا
السؤال كذلك يا سيدي ، فقد كنت
مشغولاً أنظف المائدة في حجرة الطعام
وكل ما أعرفه أني سمعت صوت مستر كارتريت
وهو يتكلم في التليفون ، وبعد دقيقتين خرجت
من حجرة الطعام فلم أجد بجانب التليفون
إلا تلك الورقات على المنضدة

فسأله سلين : وماذا كان من أمر معطفه
وفيمنته ؟

فقال الرجل : إنها لا تزالان هنا ،
وإذا كان لي أن أجرو فأشير إلى شيء فذلك
أنه لم يكن ليحاول الخروج من عبرها فالليلة
باردة جداً والسماء تساقط الصقيع

فهمهم سلين قائلاً : حسن إن من
الخير أن يبدأ الإنسان بفرض محدد أياً كان .
فليكن هذا الفرض أن كارتريت لا يزال في

فضغط على زر التليفون ولكن في غير
جدوى . وظل المحطات يعالج التليفون
ولكنه رآه وكأنه قطعة من الحديد ليس
غير . فنادى تومسن فسأله قائلاً « أهذا
هو التليفون الذي دق حين استدعيت
كارتريت ليتكلم ؟

فقال تومسن : هو بغير شك يا سيدي ،
فليس في الشقة غيره ، إلا امتداداً له يدق
في حجرة النوم

فقال سلين : أرجو أن تذهب فترى
هل في الجواز الآخر خلل ؟

وعاد الرجل بعد قليل يقول : لم أستطع
أن أحدث أية صلة يا سيدي وأظن التيار
مقطوعاً عنا من مكان ما

فأوماً سلين برأسه ثم قال : إن هذا
التليفون قد عبث به غائب فكيف كلني فيه
لورد منشجعهم ؟

فقال تومسن : تسكهم اللورد في التليفون
الذي في الردهة السفلى للبيت حين ذهب
ليسأل الحارس

فسأله سلين في اهتمام : أوافق أنت من
أن كارتريت رد على طالبيه في هذا التليفون ؟
فقال الخادم : واثق كل الثقة يا سيدي ،

فقد كنت أسمع صوته في وضوح
فسأله سلين : ألم تسمع ماذا قال ؟
فأجاب الخادم مستنكراً : إنني لم أصنع إلى

هذا المبنى وأنا إذا التمسناه هنا وجدناه
ودخل سليمان على صديقه منسجهم
وصاحبيه ، فسأله : ماذا ترى ؟

فقال سليمان : إنك على حق فيما قلت فقد
اختفى كارتريت بالمعنى الدرامى الكامل للاختفاء
فلا يزال معطفه وقيعته بالذهبة ولا يزال
ورقاته على المنضدة وقد قطع تليفونك

ونظر الرجال بعضهم إلى بعض في قلق ثم
قال جورنج برت : إن المعجزات لا تحدث
في هذه الأيام . ولا بد أن هناك خلا يسيرا
لهذه المشكلة

فقال سليمان : أرجح ذلك كثيرا فهيا بنا
ننظر ما هذا الحل . وقد اقترح بادي ، رأى
أن نفحص امسجهم أنت وصديقك هذه
الشفة فحسا جيدا ولما أذهب أنا فاستفهم
الحارس ، وإذا لزم الحال فسوف أشاغب
الأميرة بكلمات بعد ذلك

فوافق منسجهم على ذلك ودعا صديقه
لبصحباه . ونزل سليمان إلى الحارس فوجده
رجلا لا يمكن أن يرتاب فيه بأن يتأمر تأمرا
من أى نوع أو يهمل عمله . وقد أكد في
غير تحفظ أنه منذ أن جاء ضيوف منسجهم
لم يدخل المبنى أو يخرج منه أحد . وقال
عامل المصعد إنه منذ أن صعد هؤلاء إلى
مضيفهم لم يدع إلا لينزل بمنسجهم إلى
مدخل المبنى ليسأل الحارس .

وصحب سليمان عامل المصعد إلى الطابق
الأول ، ففحص الأقفال فوجدها كلها مقفلة
ولم يتبين أى شعاع من النور داخل المكاتب
فعاد ثانيا مع العامل إلى الطابق الأرضى
وسأل الحارس عن أصحاب تلك المكاتب
فإذا هؤلاء ، قوم معروفون بين محاسن وتاجر
فراء ووكيل شركة أفلام ، وقد غادروا المبنى
جميعا هم وموظفهم منذ الساعة السابعة

فقال سليمان : إذن ليس هناك من قاطن
لهذا المبنى إلا لورد منسجهم في الطابق
الثالث والأميرة في الطابق الثانى فخيرى ماذا
تعرف عن هذه الأميرة

فأجاب الحارس وقد أخذ صوته وهزئته
يتمان على احترام شديد : إنها أرملة ياسيدى
وإنها روسية الجنسية على ما ظن وقلما تخرج
من بيتها ، ولكن زائريها كثيرون وكلهم
من العلية . رهى سيدة كريمة رحيمة من
خبرة من سكنوا هذا المبنى . وكثيرا ما رى
السادة والكبراء هنا في زيارتها «

فقال سليمان : هل يقيم أحد معها ؟
ومن خدمها ؟

قال الرجل : إن لها رفيقة ، وهى سيدة
شابة تلازمها دائما . ويخدمها رجلان
وثلاث نساء

فقال سليمان : إنها إذن ليست فقيرة مثل
معظم الروس

فأجاب الرجل : فقيرة ؟ كلا ... إنها تشتري دائما ما تحب من زهر ومن خمر ، وخير المأكولات من أرقى المحلات التجارية . ويأتي الحائكون والحائكات إليها هنا . ولها سيارتان وتجدها في الأوبرا أو في غيرها من دور التمثيل تتخذ أحسن مكان منفرد .

فقال سليم : شكري لك عظيم على ما أخبرني به . ولو أن ما قلته لم يصل بي إلى رأى فيما أنا مشغول به فهو مفيد على أى حال .

ثم دس سليم في يد الرجل ورقة مالية . فلما نظر فيها وجدها من فئة الجنيه فقال في دهشة هذا أكثر مما استحق على إجابتي عن بعض الأسئلة

فقال سليم : هو لك عن طيب خاطر إذا أجبت عن سؤال واحد هو الأخير . إن لديك هنا جهازا جديدا من أجهزة التليفون لتحويل التيار إلى الشقى والمكاتب المختلفة ، وهو جهاز نافع . والآن هل لك الآن أن تخبرني لماذا قطع السلك الموصل إلى شقة منشجهم ؟ أنظر هنا فوق الجهاز بوضعتين تجده مقطوعا واستدار الرجل في سرعة ونظر ، وفغر فاه ، وأخذت عيناه تطرفان في دهشة وقال : ليرحمي الله . لقد كان الجهاز سليما حين رأيته قبل هذا ... أقسم أنه كان سليما .

فقال سليم : لقد كان سليما عند التاسعة والرابع ، لأن لورد منشجهم كلمني في النادي

وقتئذ . ثم نزل هنا إلى البهو غيره ؟ وشملت الدهشة الحارس من أقطاره ولم يستطع أن يحول بصره عن السلك المقطوع إلا في جهد ثم قال : لم ينزل هنا أحد غير من اعتدنا أن نراهم أنا ووليم عامل الصعد ؛ لقد زلت رفيقته الأميرة وخرجت إلى الشارع ومهما السكبان الصغيران كما تفعل أحيانا ونزل أحد الخادمين فدخلن سيكارة ثم وقف يفتظر عودتها خارج الباب . ولست أذكر أحدا غير هذين يا سيدي . وإني واثق أنه لم يدخل المبنى أحد من الخارج ولا غادره أحد فلم يمد إليه

فقال سليم : حسن . لنقف عند هذا فلمست تعرف من قطع التليفون . وهذا جانب من ذلك اللغز الذي حيرنا . . . ولسكنك تبدو ذا بصيرة فأرايك في كارتريت وأين تظنه ذهب ؟

فأجاب الحارس : إني أظنه قد أتى بنفسه من إحدى النوافذ يا سيدي . فإني لا أستطيع أن أتبين طريقة غير هذه لخروجه من هذا المبنى وآخر احتمال لحل هذا اللغز أنه ربما كان كارتريت صديقا للأميرة وأنها هي التي طلبته في التليفون ، فنزل إلى شقتها وأصابه هناك إغماء أو شئ من هذا القبيل وهو احتمال غير مقنع ولكن ماذا لدينا غير هذا مما يمتنع ؟

وأوماً سليمان موافقاً ثم سأل الرجل قائلاً:
أظنك باقياً هنا ساعة على الأقل ؟
فقال الرجل في تأكيد : سابقى هنا حتى
تنزل مهما مكثت مع صديقك

وصعدت سليمان إلى شقة منشجهم ، وكان
الرجال الثلاثة ينتظرون وقد فرغ صبرهم .
فقال منشجهم : إنهم لم يدعوا موضعاً إلا
فتشوه فلم يعثروا على أثر لكارتريت . وسأل
صاحبه هل وفق إلى شيء فأجابه سليمان أنه
لم يهتد إلى شيء بعد . وأن آحراً مل له هوشة
الأميرة وأنه لا بد أن يذهب إليها

فقال منشجهم : إذن فتخرج شيئاً من
الشراب فإنك في حاجة إلى كل عصب من
أعصابك لتفعل فعلاً كهذا في الساعة
الحادية عشرة

فتناول سليمان كأساً من الويسكي وجلس
يفكر على متكى أحد المقاعد لحظة . ثم أخذ
يسأل منشجهم عن كارتريت فقال :
الم يكن ثمة ما يلقى كارتريت أو يكرهه ؟
فقال منشجهم : كلا بل .. إلى مارأيت
أكثر تحمسا لعمله منه في هذه الأيام وأشد
اطمئناناً وثقة

فسأله سليمان : أليست له علاقات نسائية ؟
فأجاب منشجهم : ليس حوله إلا امرأة
واحدة هي زوجته الجميلة المادئة التي تخلص
له الحب والتي يبادلها حب محب

فقال سليمان في عزم : إذن ليس أمامنا إلا
أملنا الأخير وهو شقة تلك الأميرة فإلى هناك
ونزل سليمان إلى شقة الأميرة وإيه ليسأل
نفسه ألا يشعر بالمرض من كثرة ما حصر
ذهنه في جوانب هذه المشكلة ؟

ثم وقف لحظة أمام باب الشقة مفكراً
قبل أن يعمد زل الجرس . ولم يكديفمز الزر
حتى فتح له الباب أحد الخادمين

فسأله سليمان عن الأميرة هل هي موجودة ؟
فأجابه الرجل وفي نظرائه الدهش إليها
موجودة ولكنها لا تقابل أحداً إلا عن
موعد . فقال سليمان : إنه يريد أن يراها
لسبب طارئ ؟ ومد إلى الرجل يده ببطافته .
فأخذها الرجل ودخل الشقة ووقف سليمان
بانتظار لدى الباب

وسمع سليمان صوتاً تسويافى إحدى الغرف
في نبرة دهشة ، ومد قليل على الخادم فتأده
إلى هذه الغرفة ، فإيه هو بين أثاث فخم يدل
على بساطة الثراء ، وأحدث عيناه امرأتين ،
إحداهما الأميرة فيما يبدو ، وكانت ترتدي
ثياباً سوداء لا بهرج فيها ولكنها رأى الماي
القيمة الجميلة حول جديها وفي أذنيها ، وقد
أزاحت شعرها الأشهب عن جبينها في هدوء ،
ولحمتها يمينها السوداء من . وأما الثانية فشابرة
تلبس كذلك الملابس السوداء ، قوية معارف
الوجه ، سوداء الحاجبين ، ضيقة المحجرين ،

صنيعك . وأعدك أنى لن أمدعنى فى غرفتك
إلى غير ما جئت من أجله
فالتفت الأميرة قائلة : أخشى أنك لن
تجد فى شقتى ما يستريحى بصرى كثيرا ياسيد
جاسبر . فقتلها كما تريد ، وأرجو أن أراك
قبل أن تخرج

وكان جرابلنج خادما حسن المزان فى عهد
وهو فيها يبدو إما ألمانى أو روسى . ولم يكن
هو الذى أدخل سلين الشقة . ويظهر أنه
رئيس الخدم . ولما دعت الأميرة وأشارت
عليه بما يعمل لم يبد على وجهه الصلابة شئ
من الدهشة

وكانت غرفة نوم الأميرة آية فى الرونق
والفخامة ، ولم يسكن فيها ما يدل على أية
زيارة للرجال . أما غرفة أما فكانت أقرب
ما تكون إلى غرفة خادمة فليس فيها إلا
سرير من الحديد ، على أن غطاءه كان من
قماش ثمين . وقد علق فوق السرير صليب
حديدى وصورة جميلة للسيدة المدراء .
وكانت هناك غرفة أخرى للنوم غير مستعملة
فيها أثاث غير ذى قيمة كبيرة ، وبعض
التحف الفنية . وقد فتح جرابلنج الأصوثة
فكان ملوفا الصينى الماخر وأنماط من
الكؤوس والزجاجات . أما قسم الخدم
فكان عاديا وقد قتلته سلين شبرا شيرا ،
لم يدع موطئا حتى مكان التليفون الذى

يكون فى شقتى بأى وجه من الوجوه ؟
فقال سلين : أيتها الأميرة .. إن هذا
الافتراض يبدو لنا غريبا بقدر ما يبدو لك ؛
ولكن أرجو منك أن تقبلى وجهة نظرنا .
إنه ليس بمقتل أن يذوب رجل أو يستحيل إلى
هواء . وهذا الرجل الذى نلتمسه لم يغادر
هذا المبنى ، وما تركنا موضعا فى المبنى
إلا فقتله إلا شقتك هذه ... لولا هذا
ما وضعت نفسى منك فى هذا الموضع ، ولما
افترضت هذا الافتراض الذى أعرف أنه يبدو
غير معقول

ونظرت الأميرة فى بطاقة سلين وقالت
مفكرة : أظن أنى أعرف اسمك ياسيد جاسبر .
إنى قلما أبحر مسكنى ولذلك ترى دائرة
معارفى ضيقة . ولكن يحيل إلى أن ثمة
شيئا ما لوقا حول هذا الاسم . أتكتب مثلاً ؟
فقال سلين : أكتب بعض مقالات عن
الإجرام من نواح علمية ولكن ذلك نادر
جدا ؛ إلا أنى أعرف الكونتس مونتريشى
وأظنها صديقة لك

فقال الأميرة : آه . ألقا عزيزتى ... إنها
صديقتى حقا . حسن ! ليس لك ما أردت
ياسيد جاسبر . إنغزى الحرس بأننا . إننا سندع
هذا الرجل يفعل ما يشاء . ليس صاحبه جرابلنج
فقال سلين : إن أمرك أعظم الشكر
أيتها الأميرة وسيتذكر لك لورد منشجهم

صديقك . وأعدك أني لن أمدعيني في غرفتك
إلى غير ما جئت من أجله

قابست الأميرة قائلة : أخشى أنك لن
تجد في شقتي ما يستريح بصره كثيرا يا سيد
جاسبر . فتشها كما تريد ، وأرجو أن أراك
قبل أن تخرج

وكان جرابلنج خادما حسن المزان في عمله
وهو فيما يبدو إما ألماني أو روسي . ولم يكن
هو الذي أدخل سلين الشقة . ويظهر أنه
رئيس الخدم . ولما دعت الأميرة وأشارت
عليه بما يعمل لم يبد على وجهه الصلب شيئا
من الدهشة

وكانت غرفة نوم الأميرة آية في الرونق
والفخامة ، ولم يكن فيها ما يدل على أية
زيارة للرجال . أما غرفة أمافسكات أقرب
ما تكون إلى غرفة خادمة فليس فيها إلا
سرير من الحديد ، على أن غطاءه كان من
قماش ثمين . وقد علق فوق السرير صليب
حديدى وصورة جميلة للسيدة العذراء .
وكانت هناك غرفة أخرى للنوم غير مستعملة
فيها أثاث غير ذي قيمة كبيرة ، وبعض
التحف الفنية . وقد فتح جرابلنج الأصونة
فكان ملوفا الصبني الفاخر وأنماط من
الكؤوس والزجاجات . أما قسم الخدم
فكان عاديا وقد فتشه سلين شبرا شبرا ،
لم يدع موحنا حتى مكان التليفون الذي

يكون في شقتي بأي وجه من الوجوه ؟
فقال سلين : أيتها الأميرة .. إن هذا
الافتراض يبدو لنا غريبا بقدر ما يبدو لك ؛
ولكن أرجو منك أن تبيني وجهة نظرنا .
إنه ليس بعقل أن يذوب رجل أويستحيل إلى
هواء . وهذا الرجل الذي نلتهمه لم ينادر
هذا المبني ، وما تركنا موضعا في المبني
إلا فتشناه إلا شقتك هذه ... لولا هذا
ما وضعت نفسي منك في هذا الموضع ، ولما
افترضت هذا الفرض الذي أعرف أنه يبدو
غير معقول

ونظرت الأميرة في بطاقة سلين وقالت
مفكرة : أظن أني أعرف اسمك يا سيد جاسبر .
إنني قلما أبحر مسكني ولذلك ترى دائرة
معارفي ضيقة . ولكن يحيل إلى أن ثمة
شيئا ما لوقا حول هذا الاسم . أنكتب مثلا ؟
فقال سلين : أكتب بعض مقالات عن
الإجرام من نواح غامضة ولكن ذلك نادر
جدا ؛ إلا أني أعرف الكونتس مونتريني
وأظنها صديقة لك

فكانت الأميرة : آه . ألجا عزيزتي ... إنها
صديقتي حقا . حسن ! أيمكن لك ما أردت
يا سيد جاسبر . إنهمز بالحسب أنا . إننا نمتدع
هذا الرجل يفعل ما يحب ؛ ليصاحبه جرابلنج
فقال سلين : إن أسلاك أعظم الشكر
أيتها الأميرة وسيسلك لك لورد منشجهم

لا يتسع إلا لشخص

وقال جرابلنج في احترام : لم يبق بعد ذلك مكان ياسيدى ، لقد دخلت كل حجرة وكل مرفق وفتحت كل صوان

قدس سلين جنبها في يده وهو يعبر عن أسفه لما ساقه إليه من تعب من جراء هذا التفتيش ، وقبل الرجل الجنيه ، ثم فتح باب العالون وقد تقدم سلين إليه ، والتفت الأميرة وعلى ثغرها ابتسامة ضئيلة . وقالت في لهجة ساخرة : إنك لم تعثر على صديقك مستخفيا تحت سريري أو قابعا في خزانة ملابسي ... لعل صديقك حسن الهيئة ولا ريب أنى فقدت بفقدته شيئا يؤسف عليه

فبدأ على سلين سبة الاعتذار ثم قال : لم يتح لصديقي من حسن الحظ ما يسوقه إلى شقتك ، وإني أرجو أن تقبلي معذرتي وشكري فمدت له الأميرة يدها مسالمة ، ونظر إلى الفتاة فلم يجد ملاحظها معبرة عن شئ ، وقالت الأميرة : أرجو أن تعود لزيارتي ذات يوم ياسيد جاسبر لتخبرني على الأقل ماذا كان من أمر صاحبك المختفي

فأجاب سلين : إنذني لى أن أعبر لك عما يبعثه عطفك من عميق الأثر في نفسي

وكان في طريقته إلى الباب والخيرة تأخذه من أقطاره ، فإن كارتريت بلا شك غير موجود بهذه الشقة ... وتباطأ سلين فجأة

فقد وقعت عيناه على شئ بعث هزة في جسده وشعاعا من الأمل في ذهنه . كانت باقة كبيرة من الزهر موضوعة في أصيص على منضدة قرب الباب فرأى سلين ورقة من أوراق اللب مكورة بجانب هذا الأصيص ، فالتفت إلى الفتاة ليشرحها وتناول هذه الورقة دون أن يظن أحد إلى ذلك فقد كانت الفتاة تتأهب لتستأنف القراءة ، وكان جرابلنج يفتح الباب ، وكانت الأميرة متجهة نحو صندوق كبير للسكاثر تخرج سبكرة منه

كان منشنجهام وصاحباه في شقة ينتظرون عودة سلين ولم يبق في نفوسهم صبر . فلما دخل عليهم كانت ورقات اللب لا تزال في مواضعها على المنضدة فنظر إليه منشنجهام متسائلا بعينه ثم قال : هل من جديد ؟

فقال سلين : إلى بعض الويسكى والصودا فأمرع منشنجهام فناوله كأسا ثم عاد يقول له : هل من أمل ؟

فأجاب سلين : لست أدري . دعنى أتفكر لحظة . ولبعد كل منكم ورقاته

فأخذ كل منهم بعد الأوراق وفي وجوههم دهشة من طلبه . ثم قال كل منهم : ورقاتي ثلاث عشرة

وأخذ سلين بعد ورقات كارتريت وقد

أحضرها من جانب التليفون في الردهة ثم قال اثنتا عشرة وأخذ الورقة المكورة من جيب سرواله وأضافها إليها قائلا : وهذه الثالثة عشرة . وكان ظهر هذه الورقة كظهر الورقات جميعا

وحلق الرجال الثلاثة في وجهه وصاح منشجهم قائلا : ماذا تعنى بذلك ؟ ثم مد يده يأخذ الورقة المكورة ، فقال له سليمان انتظر لحظة ، ثم أخذ الورقة يد قائلا : إن هذه هي «الدوه» فهل في ورقات أحدكم «دوه» ؟ فنفى الجميع ذلك . ونظر سليمان في ورقات كارترت فلم يجد بينها ذلك «الدوه» فقال : إذن فهذه ورقة كارترت لا راب . لقد وجدتها على منصدة في شقة الأميرة ، بينما كانت الورقات الاثنتا عشرة هنا في الردهة على منصدة بجانب التليفون وساد الصمت لحظة ولم يستطع أحد أن يستنتج شيئا من هذا أول الأمر . ثم قل منشجهم : ماذا حمل كارترت ينزل إلى شقة الأميرة دون كلمة منه لنا ؟ قال جورج برت : ودون أن يرجع البناء ونسأل مارتين فبس قائلا : أهو هناك الآن ؟

فقال : كلا . ليس هناك إلا إذا كان استحال إلى هواء أو قطع مئة قطعة وأحرق في مائة مكان ! لقد دهشت الأميرة من طلبي تفهيش شقتها ثم أرسلني في حجة

خاتمها فلم أدع شيئا إلا قشتمه . ولقد قالت لي إنها لم تعلق زائرا في ليلتها ولم تخرج صالونها وإنما لا تعرف أحدا باسم كارترت ومع ذلك فإن هذه الورقة التي كانت في يد كارترت حين غادر هذه الحجرة قد وجدتها في صالونها

وضغط منشجهم براحتيه على فؤده قائلا : أعم كلامك يا سليمان . إنك تمضي بنا إلى الجنون

فقال سليمان : وأنا أحس أي خطوات خطوات في هذا السبيل ، لا بد لي من العودة إلى الحارس وإلى لأثني في قوله إنه لم يخرج أحد من باب البني وأنه لا يخرج للبني إلا هذا الباب

وقل جورج برت في شيء من التردد : ألا يمكن أن يكون قد ألقى بنفسه من النافذة ؟

فأجاب سليمان : على كل حال إن خطواتنا التالية هي أن ننظر حول البناء في الشارع ونزل منشجهم وصاحبه سليمان إلى بهو البني يقعدان إلى الشارع فسألها الحارس هل وحدها صاحبها الخنفي ؟ فقال منشجهم لم يحده بعد . لا تترك كلامك . سنرجع بعد قليل

وبعث في الشارع فلم يجد شيئا وأخذ سليمان ينظر إلى النوافذ من شقة منشجهم

للرجال الثلاثة : من شاء منكم أن يأتي معي فليأت ، فإني ذاهب إلى باب مكاتب ميشيل فصنع لدى هذا الباب ، فإن لم أسمع شيئاً فلست بفاعل أى فعل .

وخرج ثلاثتهم في أثره ، وتركوا على السلم يمشون على أطراف أصابعهم ، حتى بلغوا باب ميشيل فنظروا في اللامبة فقرأوا عليها « ميشيل وولده » . ثم وقفوا صامتين لدى الباب يسكون أنفاسهم . وجنا سليمان لحظة ووضع أذنه على الأرض ، ثم نهض في سكون تام . ورأى أصحابه في عينيه تألقاً وفي وجهه سمة الأمل والاشتماش . وأشار إليهم أن يتبعوه وتركوا معه إلى البهو . وكان الحارس لا يزال في مكانه وعامل المصعد على كرسيه بالقرب من مصعده .

وقال سليمان : أيها الحارس ، خذ حذرك فإن ثمة ما يرب في مكان ما بهذا البني فقال الحارس في كثير من الارتباك : أين يا سيدي ؟

فأجابه سليمان : دعك من ذلك الآن . خذ هذا المسدس ولا تسمح لأحد أيا كان رجلاً أو امرأة أن يغادر البني بينما أنكم في التليفون

فقال الحارس : لا حاجة بي إلى المسدس فلن يستطيع أحد أن يمر من هنا رغم إرادتي فقال سليمان : اسمع نصيحتي . ماذا يكون

إلى الطابق الأرضي ، ثم ذهب فاستدعى الحارس إلى حيث كان يقف منشجهم . وأشار سليمان إلى أعلى قائلاً : إن هذا الضوء الخافت في شقة الأميرة على ما أظن ؟

فقال الحارس : نعم يا سيدي فسأله سليمان : وإن هذه المكاتب التي تقع تحت شقة الأميرة ؟

فقال الحارس : لرجل يدعى ميشيل هو وكيل في تجارة الفراء والأشياء الشرقية فقال سليمان : صف لي أى رجل هذا

فأجاب الحارس : أحد أولئك الأجانب . ممتلئ الجسم ذو لحية ، وملابسه من عظم أجبي . وله سكرتير وكتاب على آلة الكتابة وأخذ يقل اهتمام سليمان بالتوافد . وأبحه وصاحبه صوب البناء وتبعهما الحارس .

فدخلوا ثلاثتهم وقال سليمان للحارس سأصعد إلى شقة صاحبي وأعود بعد لحظات وأرجو أن نظل بقظاً فقد يحدث حادث كما أرجو ألا تسمح لأحد مطلقاً بمغادرة البني

ولما دخل منشجهم وصاحبه الشقة ، سأل سليمان : أليس لديك سلاح من أى نوع ؟ ومصباح كهربائي ؟

فقال منشجهم : لدى مسدس وعدد من المصابيح الكه بائية

فقال سليمان : إلى به وهات مصباحاً منها ولما أخذ سليمان المسدس والمصباح قل

موقفك إذا كان من يريد أن يخرج يحمل سلاحاً
ثم اتجه سليمان إلى منشعهم قائلاً :
سوف أطلب اسكتلنديارد وسأطعمك على
كل شيء في وقته المناسب .

وأوما منشعهم قائلاً : اعمل ما ترى
فإني أكل كل شيء إليك أيها المعجوز المحنك
ومشى سليمان نحو النليفون ولكنه ما لبث
أن وقف فجأة . وأحس كل رجل في هذه
الجماعة كما لو سرت إليه هزة كهربائية !

إن وقوفه شيء لا خطر له ولكنه أحدث
في نفوسهم من الأثر كالأثر أن قوة خفية
سلبت الحركة في أبدانهم . وسمعوا جرس
المصعد يدق !

وساد الصمت لحظة ثم قطع سليمان بقوله
يسأل الحارس في استنكار : من تراه يغادر
المبنى في مثل هذا الوقت من الليل ؟
فأجاب الحارس : لا أستطيع أن أنصوّر
من يكون هذا

وصعد عامل المصعد . وما هي إلا لحظات
ثم هبط المصعد ، وفتح العامل الباب فخرجت
منه أنا ، تلك الفتاة التي كانت تجلس مع
الأميرة ، واتجهت سوب باب المبنى وفي يدها
ظلة ومعهما كليهما ، ولكنها لم تكذب تخطو
بضع خطوات حتى اعترض سليمان سبيلها
قائلاً : آسف ياسيدي .. أظن أن كليتك
يستطيع أن يستغني عن رياضته هذه الليلة ،

وقد خرج مرة قبل هذه فيما أظن ؟
فقطرت إليه بعينين تقدحان شرراً وقالت :
إنه يخرج عدة مرات كل ليلة ، وقد تأخر
هذه الليلة لأنك أنت الذي أحررتنا بمجيئك إلى
شقة الأميرة . ولا بد له أن يعود إلى
زاوية الشارع .

وأرادت أن تخطو ولكن سليمان لم يتحرك
من أماكنها وقد عاد يخاطبها قائلاً : إن السكب
على كل حال أمر لا أهمية له وإنما المهم أنه
قد صدر أمر ألا يغادر هذا المبنى أي شخص
حتى ينجلي ما نحن بصدد .

فالتع المصعب والشر في عينيها وقالت :
وأي أمر هذا يمكن أن يصدر هذا الأمر ؟
ثم حاولت ثانية أن تمضي في سبيلها ،
فأمسك سليمان بعاتقها وقال : إنه لن يسمح
لك أيتها الفتاة أن تبلغى الشارع ولا أن
نعودي إلى حيث كنت .. أيها الحارس
شدد الرقابة على هذه الفتاة ريثما أعود

وفتحت الفتاة فمها تريد أن تصرخ ،
ولكن الحارس أسرع فوضع يده على
شفتيها ، بينما ذهب سليمان إلى النليفون .

وعاد سليمان بعد أن طلب سجنسون مفقوش
البوليس في اسكتلنديارد ليحضر ومعه ثلاثة
أو أربعة من رجاله . وكانت الفتاة لا تزال
تحاول التلصص فقال لها سليمان : لن تجدي
محاولتك شيئاً وخير لك أن تقولي إن مسدس

كارتريت

فأجابت في عنف : ومن لي بأن أعرف مسر كارتريت هذا وأين يوجد ؟

وتركها سليمان حيث كانت واقفة ، وأخذ يزرع الردهة جيئة وذهابا ، وهي تنظر إليه بعيني نمر : وبعد ربع ساعة وصل محبسون مفتش البوليس ومعه أربعة من رجاله ، فلما رأى سليمان سأل قائلا : ميشيل وولده ؟ هل قلت في الطابق الأول ؟

وأجبه سليمان إلى حارس البني قائلا : أعط المفتاح العام للمفتش أيها الحارس ونناول المفتش المفتاح من الحارس ، وسعد هو واثمان من رجاله ومعهم سليمان إلى الطابق الأول وتركوا رجلين يحرسان مدخل البني ، وفتح المفتش شقة ميشيل وولده

ودخل الجميع الشقة ونظر المفتش زر النور فوجدوا في أول حجرة بعض المكاتب وبعض أظاظ من الفراء معلقة على الجدران ثم رأوا النور في حجرة داخلية يبعث ثم يطفى في مثل لمح البصر ، فاندفعوا إلى تلك الحجرة وفي أيديهم السدسات وأضاءوا نورها . فوجدوا هذه الحجرة خالية وفي وسطها رجل على كرسي ثقيل وقد شد بحبال إلى هذا الكرسي ، وكان هذا الرجل هو كارتريت بعينه ! وما كاد كارتريت يرى سليمان حتى صاح به : ها أنت ذا يا صديقي

سليمان : أسرع بإرسال بعض الحنف إلى مدخل البني .. انظر إلى السقف تجد هذه الفتحة الوصلة إلى مطبخ الأميرة . قد أنزلني منها خادما علي سلم من الجبال ، وقد صعد عليه هو وميشيل الآن وأخشي أن يهربا . فقال سليمان ضاحكا : لا نخش شيئا يا كارتريت فسيجدان البهو محروسا . كان الله لك . أي فتح هذا الذي وقعت فيه ؟ وتقدم سليمان فقطع الحبال

وقال مدسجهم ضاحكا : بالك من نعم . ماذا جاء بك إلى هنا ؟

فأجابه كارتريت : وأنت من جاء بك لتسكن فوق شقة عصابة من البلاشفة

كان سير جاسبر سليمان ضيف الشرف في الليلة التالية في بيت أحد الوزراء ، وكان كارتريت أحد الضيوف ، فأخذ الوزير يتنق على سليمان ويصف ما أداء إلى الدولة من صميم الترض على هذه العصابة وقال إزر رجال البوليس كانوا على علم بحركات هذه العصابة ، ولكنهم لم يكونوا يعلمون أين نقيم . ولم يكن يدور بخلدنا أن الأميرة رأس هذه العصابة ، التي كانت تعد البلاشفة هذا وفي روسيا بكثير من الأبناء أسبوعا بعد أسبوع . ثم اتجه الوزير إلى كارتريت وسأله عما إذا كان قد أطلع سليمان على سبب اختطافهم

إلى نفسي إلا في تلك الحجرة التي وجدتني فيها موقفاً بالحمال، وكان ميشل وذلك الخادم يضعان مسدسهما على صدرى لأفضى إليهما بقرار مجلس الوزراء . وكان يصعد أحدهما إلى شقة الأميرة ويدع الآخر يتهددني تارة، وكانا يجتمعان على تهديدي تارة أخرى، حتى أحسنا بقدموك ومن جاء معك من البوليس ففرا إلى شقة الأميرة ، وكادا يهربان لولا ما اتخذت من حيلة .

ثم ضحك كارترت ومال برأسه وقد أسند مرفقيه على مائدة الشاي قائلاً : والآن خبرني ياسيد مسلين كيف عرفت بالله أنى دخلت شقة الأميرة حتى تشك في شقة ميشيل وولده ؟ فضحك مسلين وقال : ورقة « الدوه » ورقتك الثالثة عشرة . . أفهيت ؟

« دو القناع »

أيام . فقال مسلين إنه لم يطلعه بعد . فقال الوزير : كانت إحدى السفن في طريقها إلى هنا . وكانت تحمل مايساوى مليون جنيه من ذهب روسيا . ولم يعلم السفير الروسي ماذا انتهى إليه رأى مجلس الوزراء، شأن هذا الذهب . هل تضع حكومتنا يدها عليه ؟ وكان لا يستقر من فرط قلقه ، وكان كارترت هو الرجل الوحيد خارج المجلس الذي يحيط علماً بقراره فتمتقبوه منذ أيام حتى أوقفوه في حياتهم بحيلة غريبة أدع له أن يصمها لك .

فقال كارترت : استندعيت في التليفون من شقة مشنجهام فإذا المتحدث يلقي إلى كلمة السر التي كانت بيني وبين وزارة الخارجية ويطلب لتأني في شقة الأميرة ، فما كنت أدخل الشقة وأسلم على الأميرة وكان خادمها يقف ورأى حتى عبت عن وعبي . ولم أصبح

من وراء المنظار

مصول انتقادية فكمية من حياتنا الاجتماعية

للوستاز محمود الخفيف

كتاب في ٢٥٠ صفحة على ورق أبيض

ثمنه ٢٠ قرشاً — عدا أجرة البريد

يطلب من إدارة الرواية ومن المكتبات الشهيرة

لا مفر

منه السور على صفحة ١٦

هؤلاء، ليكونوا علينا من الشاهدين»

وأخذت شحاتة ربكة أول الأمر ثم قال

« وفيهم المجلة ؟ الأفضل أن ينتظر قليلا »

فقال الحاج عثمان « كن صريحا وتكلم

أمام هؤلاء الرجال . لقد كنت أشد مني

رغبة في أن ترف عيمة إلى شبل فإذا جرى

بعد ذلك ؟ »

فقال شحاتة « أتريد الحق ؟ البنت

مجنونة هذه الأيام وأخوها محمد أجن منها

والأفضل أن تأخذها بالخيالة والسياسة »

وضحك شحاتة في صوت مسموع كأنما

يريد أن يخفف وقع كلامه على صاحب الدار

فقال الحاج عثمان « ماذا تقول يا رجل ؟

لم يبق إلا أن البنت تفرض إرادتها على

أبيها .. ومحمد ما شأنه ؟ هل هو أبوها ؟

أنا لا أرضى لك بهذا ... إما أن تكون

أنت الرجل وإلا ... »

فأجاب شحاتة : ماذا أصنع يا إخواني ؟

سألت الواعظ فقال إن الشرع لا يسمح بأن

تزوج البنت رغم أنفها ، ومن زوجت بهذه

الصورة فزواجها باطل فهل تتبع ...

وقاطعه الحاج عثمان قائلا : الله ... الله ...

متى أصبحت رجل شرع ... وهل يسمح

الشرع للبنت بأن تختار من تريد ؟ ما هذا

الكلام ؟ والله لو أن عندي بنتا تفعل هذا

لدفنتها حية ... ألا تخشى الفضيحة يا رجل ؟

وضحك شحاتة ضحكات متتابعة فضا

به صاحب الدار وقال له : إما أن تصرح بما

في ضميرك وإلا فلنقل هذا الباب

فقال شحاتة : انتظر حتى يعود الأستاذ

على أخو العمدة وبعد ذلك نتكلم .

فأجاب رب الدار في غضب : وما دخل

الأستاذ في هذا ؟ ثم تدارك كلامه قائلا :

أقصد أنه لا يمنعك من أن تزوج ابنتك إن

تشاء ، وهم على كل حال هو وأسرته رؤساؤنا

وكبراؤنا من قديم ... ولكني لا أرى لهم

دخلا في أمر كهذا .

وكان النسوة يسترقن السمع خارج المنظر

وقالت أم شبل لزوجة ابنها حسن دون أن

تعبأ بوجود ابن أخيها : وهل يستطيع شحاتة

أن يبت في هذا ؟ الكلمة في دارة كلمة أختي

وخير للحاج ألا يتعب نفسه . والله لولا

أنها بنت أختي ما قبلتها لابني .

وكانما ألهم زوجها ما تقول ، فقد سررت

الحديث عن وجهه ، ثم انقربا عقد المجلس .

وأخذ الرجال يحدث بعضهم بعضا في مختلف

الشؤون حتى قربت الشمس من المغرب

فأخذوا ينصرفون . وكان شحاتة أول من

تسلل من النظرة .

عاد على من سفره فافتقد صابرا بضعة أيام ثم سأل عنه فسمع لإجابات مختلفة ، فمن فائل إنه سافر ليعمل في عمارة تبني في مدينة قريبة وسيمود بعد أيام ، ومن فائل إنه عبر إلى الشط الغربي ليعمل في البحيرة فقد ضاق بالعيش في قريته لأن أباه يأخذ ماله فينفقه في القهوة على جلسائه ، وهو يريد أن يتصدق مهره مما يكسب . ولقد دهش على مما سمع ولكن دهشته لم تطل . فقد مر به محمد شحاته فقال له إن الرض قد اشتد على صابر بعد أن شفى مثله ، وأمه لا تحب أن يراه أضحى ببرا مخافة أن يشمت به شبل وأهله ، ولذلك فهي تحب من يسأل عنه أنه سافر في عمل مع البنائين وسيمود بعد أيام

وشخص على بين المغرب والعشاء وحده إلى دار صابر ، فألقى فتحية وحدها على مقربة من الباب وقد وضعت رأسها بين رجليها في صورة جزينة راد معنى الحزن فيها ضعفين عناء لداها وضحكهن على مقربة منها

وطرقت فتحية الباب ونادت أمها ففتحت لها ، فقامت الصبية وهي تدفع الباب « اتفضل يا سيدي » . فقال على « يا صابر .. مساء الخير يا حاجة » وأخذت حسونة ربكة أول الأمر ثم قالت « مساك الله بكل

خير يا سيدي ... أهلا وسهلا » وتناولت يده وانحنت لثلمها فغذبتها في رفق وعيناه على صابر ، وقد تمدد على المصطبة ونور المعلقة في الكوة فوق رأسه ، وكان صابر راقدا على ظهره ووجهه إلى أعلى ولم يستطع أن يلتفت فدنا على منسه وقال وهو يتكلم الالباسم « لا بأس عليك يا صابر .. ما بك ؟ » ورد صابر في صوت خافت قائلا « لا أراك الله ما أنا فيه يا سيدي ... أشكرك ... حتى كان فيه صابرا »

وجلس على على حافة المصطبة عند فئس صابر ، فإذا هو حيال منظر كم تنى لولم يره ولكم حاول جاهدا أن يمسك دمه وأر يتكلم دون أن يتهدج صوته . أهذا هو صابر الذي كان مضرب المثل في قوة البدن ونضرة الوجه ؟ إنه يرى يديه من تحت المطر تحيلتين معروقتين كأنهما يدا شيخ ! ويرى وجهه الذي كان يترقق فيه ماء الشمام وقد غدا مسنونا مصفرا كأنما غفره الموت بترابه . ثم إنه يرى في أساور هذا الوجه الذي يقع عليه نور المعلقة ما لم ير مثله قط لا في حقيقة ولا في خيال من صورة الأنم البشرية ، ويستمتع إلى أنات صابر وهو يكتمها بجسدا وإشفاقا على أمه فبهمة قلبه اهترارا

وقال على وهو يهش نصاير متكلفا

« لا تخف يا صابر كن جدعا » فقال صابر
في همس « لست خائفا . سيربحني الموت ..
لا يذل الإنسان إلا المرض »

ونبتت فتحة عليا إلى خارج الدار فناداها
ووضع بعض القروش في يدها الصغيرة
فقالت في غير مناسبة « بعنا المعجاة ياسيدى ..
عجلة صابر أخى فإن أبى عليه وإيجار لم
يسدده .. ولم يكن عندنا ذرة ولا فلوس
للحكيم والدواء من يوم أن مرض صابر
واقطع عن العمل .. وكان صابر يربى
المعجاة ليدفع ثمنها مهرا انميصة فهو يحبها
ياسيدى وهى تحبه .. ولما سجننا المعجاة
إلى السوق لم يقضب صابر أبدا . ربي
يشفيه ياسيدى ! من لنا غيره ؟ »

اتفق أن التقى على في هذه الليلة
بالطبيب فلم منه أن مرض صابر حصاة في
الكلى وخير علاج له أن تجرى له جراحة ،
فاعتزم على أن يرسله في عده إلى المستشفى
في عاصمة الإقليم . وقضى على ليلته مكتئبا
يسأل نفسه كم في القرية من أمثال صابر
ممن يعيشون على عملهم يوما فيوما ، فإذا
تقدم المرض عن العمل لم يجدوا ما يأكلون !
وطاف بخياطه قول صابر لا يذل المرء
شئ مثل المرض . وهزت نفسه من أعماقها
دمعة اللتان أهدرتا وهو يدس له النقود
تحت المدة ولم يغب عنه ما وقع عند ذلك في

كن رجلا كهمدى بك يا صابر .. كل
إنسان يمرض وبشئ .. فهم صابر كى
لا تسمع أمه قائلا « لا .. لا مفر
من الموت هذه المرة » وقالت حسونة
« منهم لله .. يا رب أنت حسبي على الذين
يعملوا هذا بولدى .. أنا مسكينة يا رب
وأنت عالم بى .. يا رب أنت حسبي » ثم
كتمت نسيجها إشفاقا على ابنها ومسحت
دموعها بكفها

قال على « أرى هنا دواء في راحة على
الرب فهل رآه الطبيب ؟ وماذا قال ؟ »
فقالت أم صابر « ذهب ابني إلى الطبيب
ممل أن يشتد المرض فأعطاه هذا الدواء ولم
يقبل شيئا »

فقال على « إن شاء الله يشفى ..
لا تخلفي يا حاجة »

فالت حسونة « ربنا موجود ياسيدى ..
.. يفيك ولا يسيئنا فيك »

وعاقل على المرأة وأخرج من جيبه
بعض أوراق النقد فدهسها تحت غدة صابر ؛
.. بلر فإذا بصابر يفر رقرة خفيفة ثم تنحدر
.. مسنات على حذيه .. وعندهم صابر ببعض
ثمالت السكر .. وبعض الأستاذ ليخرج
فقال « سأقابل الطبيب وإن شاء الله ماهناك
إلا الخير » وأمسك بيد صابر مسلما وهو
لا ينوى على النظر ثانية في وجهه ، وقال

من خلق الرجال . وإنه ليس له أن يفرح فإنها علمت من أخته فتحمية أنه شفى بعد أن نجحت الجراحة وأنه عما قريب سيمود إلى القرية

قالت زينب : فسألها شبل وماذا يأكل في داره حين يعود ؟ فقالت نعيمة : إنه رجل وإنه يأكل من عرق جبينه ولا يعتمد على مال أبيه

فقال شبل : ويحمل الطوب والفحم . فأجابته نعيمة : وأى عار في ذلك ؟ ألم يكن أبوك يعمل أجيرا في شبابه قبل أن يشتري ما يملك من أرض ؟ فثار شبل وسمت خذله نوره فأظهرها على ما قالت نعيمة فأهوت عليها ضربا يمضا أخذتهما من يد شبل ، ولكن نعيمة التزعت العصا من يدها وحاولت أن تكسرها على ركبتيها وأجهت إلى شبل قائلة : قل ما تشاء فليس يهمني ما أقول . وماذا أقار ما كتبته أمك ؟ ثم استدارت وقالت لأُمها : والله لو قتلتموني ما أرجع عن رأيي . ألم تزوجني أنت أبي على الرغم من أهلك كما أخبرني الناس ؟ ثم ألم تهدي أهلك بأهلك تحرقين نفسك إذا منعوك عنه ؟

قالت زينب : فاستخذت أمها واستخذى شبل . وحضر أخو نعيمة فكاد أن يضرب شبل لولا أن جاء أبوه شحاته فنهده وأخرجه من الدار واعتذر لشبل عما فعل ابنه

نفس الفتى من معنى أبكاه . وحين أوى إلى فراشه تذكر وحصة السكى في خاطره أنه رأى صابرا منذ سنتين في الحقل وقد جلس على حافة قناة كأنما يقمى ووضع فيه في قليل من الماء في قاع القناة كان نصفه طينا فشرب منه ومحب يومذاك كيف يفعل ذلك ولا يصيبه الضرر * * *

فقدت دار شحاته الطولى ما عرفت به بين الدور من مرح أهلها ورضائهم عن حياتهم . وأحس أهل الحارة بالكآبة تنفث هذه الدار ، فالرجل دائم الخلاف مع امرأته ، وامرأته عابسة مبهومة أبدا ، وابنها لا يكاد يكلمها أو ينظر إليها ، ونعيمة التي كانت بهجة الحارة والتي كانت لا تدخل دارا إلا ملائها مرحالا ترى اليوم إلا صامتة مخزونة . ولكن الناس لا يحارون في تعليل ذلك فهم يعرفون أن الرجل لا يريد أن يكره ابنته على الزواج من شبل عملا برأى الواعظ . والمرأة يؤلمها ويشير عنادها أن ترى الرجل يخالفها بعد موافقة وهو لم يكن يرد لها طلبا مهما كان . وكثيرا ما يشتد الجدل بين الرجل وزوجته حتى يوشك ذلك الجدل أن يستحيل إلى معركة وتحدثت زينب بلبت صالحة مع بعض النسوة فقالت : إن نعيمة ثارت في وجه شبل وعنفته منذ أيام في دارها حين ذكر صابرا أمامها بالسوء . وقالت له إن الشامة ليست

وجهمها وخضرة عينيها وصفرة شمرها
فسألها عن اسمها فجرت ضاحكة وانددت
بين أنسابها ولم تجب .

وتادأها هذه الليلة وقد رأى اللمفة في
نظراتها ودد إليها يده مسلما فالت عليها ولتمتها .
وأحس أنها تريد أن تسأله عن صابر ، ولكن
الحياء يمنها فقال لها ضاحكا : احزري من
أين أنا قادم ، فابتسمت ولم تتكلم وارتسم على
وجهها شيء من الالطمان ، فقال : إنه محير
وعما قريب تجدينه في البلدة . وتخرج
وجهها الجبل وتألت بالغبطة والشكر عيناها
وأدارت وجهها عنه في حياء تحاول أن تخفي
سرورها . ولما مد إليها يده مودعا لتمتها
مرتين في حماسة تمسره بذلك عن عظم
شكرها بإياه

لم يكن يعلم أحد في القرية متى يسود
صابر من المستشفى ، وإن كان صحابته وأهل
يعادون أنه تأمل للشقاء . ومضت أيام بعد
شفائه ولم يعد . ثم ما لبث أصحابه أن
أصبحوا يشفقون عليه من العودة وبشتون
لو امتد أجل بقائه في المستشفى .

وأنزلت سيارة عامة صابرا ذات
على الطريق الزراعي في منخل القرية ، وسار
نحو داره من طريق ضيق قلما يسلكه من
قبل ، هو أقرب الطرق إليها . وراء بعض

وشاع حديث ربيب في القرية ، وأخذ
أصحاب صابر يرتقبون عودته فقد آلمتهم شماته
سبل كما آلمهم حزن نعيمة وشقاؤها وقال من
زارود منهم إنه بخير وإنهم فرحوا حين رأوه
فقد أخذت تعود إليه عافيته . وقد أوصى
الأستاذ على به الأطباء وزاره أكثر من
مرة فاهتم به كل من في المستشفى

تمرت نعيمة ولم تعد المدعن لأمرها فتبقى
في الدار لا تخرج ، وشكتها أمها إلى أبيها
فأدار لها ظهره قائلا : ومن تخافين على ابنتك
وصابر في المستشفى لا يعلم إلا الله متى يعود ؟
وبرى الناس نعيمة صامنة ، تنسجم الأنباء
عن صابر ولا تتكلم ، ولا تجرؤ الفتيات أن
يعاتبنها اليوم وامامهن يرتين لها

وكانت عائدة من دار ربيب ذات ليلة بعد
المغرب مهمومة بدور طرحتها برأسها ووجهها
في صورة حزينة فصادفها على وقد نزل من
سيارته على الطريق الزراعي ، فأحست أنه
قادم من زيارة صابر ، فنظرت إليه في لهفة .
وكان على يعرفها منذ صغرها وكثيرا ما كان
يداعبها ، ولم يزل يستوقفها ويضاحكها كلما
رآها حتى أصبحت فتاة ناهدا . وإنه ليذكر
يوم أن رآها أول مرة وهي في الماشرة
أو دونها قليلا فاستوقفها وكانت مع عدد
من البنات وقد استرعت بصره بنهن بحمال

يا صابر وزفافها الليلة بعد العشاء » فأسند صابر ظهره إلى الحائط وقد جف ريقه وارتعدت بداه . ومضت أخته تقول وهو ينظر إليها صامتا هادئا « وكانت تبكي ليلة الحناء وتلطم وسط النساء والبنات بيديها قبل أن يحنوها ، وكانت أمها تشتمها ونعميمة تقول يا خبيثي يا سوء حظي .. ماذا صنعت يارب ؟ وبكت بعض البنات والنساء . لبكائها . وسمعت من زينب أن أباها لطمها على وجهها حين رفضت أن توكله للعقد وقال لها ستفدحيني في البلدة والله أذبحك وأدفنك الليلة . فلم ترد وظلت تبكي فقال له الحاج عثمان زوج خالتها تعال إلى الأذنون فهي مواطنة ونحن شاهدون .. وقالت زينب أيضا إنها ظلت تبكي طول النهار . ودأبها أنا بنفسى العصر وحولها بعض أقاربها قتالت لأخيها محمد وبعض أصدقائه أليس فيكم رجل ؟ خذوني إلى جهنم .. يارب أريد أن أموت .. ماذا جنيت يارب ؟ ثم لطمت وجهها ودعت على أبيها بأن لا تطلع عليه الشمس .. » ثم أجهشت فتحية وقالت « وسمعت بأدنى سلمتها زوجة حسن تقول لها « أتبكين لأنك ذاهبة إلى دار خالتك دار العز بدل دار الفقر ؟ وماذا كنت تجدين حول صابر وأهل صابر إلا الجرع والشقاء والعمل مع البنائين ؟ »

الناس قبل أن يقرب من داره ، فكانوا يسلمون عليه مظلمين فرحهم لشفائه ولكنهم كان يلح في وجوههم ما يشبه الرثاء له ، كما يخفون عنه مالا يحبون أن يفاجئوه به ، ورأى ذلك جليا في بعض الوجوه فقد كان يرسم عليها في وقت واحد السرور لشفائه وذلك الرثاء الصامت الحزين الذي ينفذ إلى قلبه فيختلج بين أضلاعه ، حتى لقد اتجى بأحدهم ناحية وسأله قائلا « هل ماتت أمي فأني قدرت أنها ستتموت وأنا في المستشفى » ولكن صاحبه أكد له أن أمه وأباه وأخته بخير

ودخل صابر داره ، فلم يجد إلا فتحية ، فأقبلت عليه مساة ، وأسرت فأوقدت السرجة في الكوة ، فرأى في وجهها رثاء وحزنا كانا فيه أبلغ مما رآه منهما في وجوه الناس ، فدق قلبه وسألها عن أمه فقالت إنها في إحدى الدور القريبة وإنها ذاهبة لتدعوها ... فسألها أخوها ماذا تعمل أمه في تلك الدار ، فبدأ الخزي على وجهها وقالت بعد تردد « تقترض بعض المال لشترى ذرة »

ثم جلست بجانبه على المسطبة تنظر في وجهه وقد ابيض وانضح لون المسفورين الزرقاوين في عارضيه ، ثم قالت في سداجة لا تخالو من ألم وغيط « نعمه تزوجت

إن كانت محب أن ترضيني »

سمع الناس الزغاريد بعد العشاء ينبعث
من ناحية دار الحاج عثمان . ولكنهم مالبثوا
أن سمعوا صباح امرأة ينبعث من ناحية
أخرى متتابعا متقطعا وتبينوا فيه حرقه
الحزن وسندة الجرع . وتسال الناس ، فقال
بعضهم إنها أم صابر كما أخبرتهم بمصر
النسوة فراح يؤكد هؤلاء أن ابنها مات في
المستشفى . وقال البعض إنه جاء الليلة وإبهم
رأوه بأعينهم فلمله مات في الدار . ووقف
القوم حيرى حتى جاء رجل من ناحية تلك
الدار فأخبرهم — وهو يكرر قوله : لا حول ولا
قوة إلا بالله — بأن صابرا قتل في المحطة وقد
شاع أن سالما هو الذى قتله

وما هى إلا لحظات حتى أسرع كثير من
الشباب والرجال والنسوة صوب المحطة .
وقد سبقتهم إلى هناك حسونة أم صابر
صائحة مولولة ومعها بنتها فتحية تسكى
وتصرخ ، بينما كان أبوه لا يزال في القهوة
لا يعلم شيئا

ووقف الجميع منصتين متراحين حول
خفير « المزلتان » وهو يحدث الأستاذ علما
وكانت تسمع بعض الأماط الخفير في صرخات
حسونة وقد أحاط بها بعض النسوة
وأمكن بذراعيها إشفافا على وجهها من

فربت صابر على كتف أخته يكفكف

دموعها وقال لها في صوت خافت « إذهبي
فأخبري أمك بمجيئى » وما كادت تبتعد
أخته عن الدار حتى خرج هائئا على وجهه
لا يدرى إلى أين يتجه ولا أين يبيت ليلته ،
فما يطيق أن يبيت في البلدة ، وكان يقف
كلما مشى يضع خطوات يريد أن يرجع
إلى أمه ، فإذا عساها تصنع حين تأتى
ولا تجده في الدار ؟ ولكنه كان يعود فيمضى
سريعا وما زال مسترددا بين الضى
والعودة حتى اقترب من محطة السكة الحديد
فقابلته إحدى الفتيات فمرقته في الظلام
وسلمت عليه هاشة فرحة بشافته ، ولكنها
ارتجعت لما تراه في وجهه من ذهول
واضطراب ، فأدركت ما به . وسألته إلى
أين يذهب فقال « سأعبر النيل إلى البحيرة
لأعمل هناك » فقالت له « بعد أن تسترد
عافيتك ، وهل تقوى على العمل إلا بعد أيام ؟
أمن أجل بنية كهذه تهجر البلدة ؟
العرائس كثيرات يا صابر وأنت ظفرك
تألف .. تعال .. تعال ارجع معى » ومدت
يدها تمسك كفه فدفعها في رفق وانقسم في
هدوء كأنه لا يحس شيئا من ألم أو يأس
وهمس بقوله « قولى لأى إلى عائد قريبا
و .. وقولى لنعيمة تعيش في هناء مع زوجها

اللطيمات وهي تقول ولدى . . . ولدى . . . في
 مرة تقطع أغلظ القلوب ، ودموعها تغرق
 حديثها الدالين
 قال الخفير : لقد كان منى صابر يحداثي
 وكان هادئاً مبتسماً ، وقد رثيت له حين علمت
 أنه عاد الليلة من المستشفى وحين فطنت إلى
 أنه لم يطق أن يبيت في القرية ، ورحلت
 أعوز له الأمر فنظر إلى لحظة وقال يخوي
 عني ما فطنت إليه من سبب لهجرانه بالبلدة :
 ما بقائي بالبلدة وإن أستطيع العمل لا أكسب
 فوني قبل شهر على الأقل كما قال الطبيب ؟
 وماذا أصنع يا أحي ؟ هل أنسول وأما الذي
 ما أخذت قرشا إلا بعرق جبيني ؟ ثم شهد
 مهدة طويلة وزم شفتيه كأنما اغترم أمرا
 وأوما برأسه مرات وعاد يقول : ما أوجع

الشماتة في الجسد المر . . . هيه كان الله لأمي
 وصفر القطار واقرب فمارأني إلا صابر
 يلقى بنفسه تحت عجلاته . ودق الخفير كفا
 بكف يمهز عن دهشته ، وأجهش أكنه
 الفتية والرجال ، ونظر من كان منهم قرب
 القضبان إلى عطاء يغطي جثة صابر وقد
 وضع قريبا فانوس ووقف حولها موظف
 المحطة والحزن في وجوههم . وبات بعض
 أصحاب صابر إلى جانبه . . . إلى جانب حثته
 حتى يسمح بنقلها . وعاد الآخرون إلى
 القرية واجمين دامعين ، فلما مروا بدار الحاج
 عثمان لم ينالكوا أنفسهم فخطموا المصباح
 القوي المعلق بيأسها وعفروها بالتراب
 محمور الخفيف

رواية شاب هادئ



حل اللز الذي نشر في العدد الثالث من الرواية تحت هذا العنوان
 لقد ذكر مساعد انصراف أمه أطفلاً النور حين سمع أقداما
 على السلم في أسفل البناء ، فكيف استطاع إذن أن يرى في الظلام
 رقم النليفون حين استدعى البوليس ؟ هذا دليل على اختراع
 القصة كلها . ولذلك أمه المأمور أنه هو السارق

فكر في الحل



صية عارية في الحمام

دخل مأمور البوليس الحمام فوجد جثة بول لوكن عارية وتحت ذقنه جرح طويل يصل ما بين أذنيه والدماء تغطي أرض الحمام الفسيح . فتناول الموسى من فوق حوض الاغتسال وفتحه ونظر في شفرته الحادة ثم نبي سلاحه وأعادته إلى مستقره في القبض ووضعها ثانية على حافة الحوض

ونظر المأمور إلى الجثة لحظات . ثم اتجه إلى الطبيب وكان بجانبه فتسائل بعينه وهزات من رأسه ، فقال الطبيب إنه يشم عقب سيجارة ، فيبحث عنها فوجدها تحت الجثة . ثم انجها معا إلى السانون . حيث سأل المأمور سيدرك كندريك رئيس الجوقة الموسيقية التي كان بول لوكن أحد أعصائها عما يعرفه عن الحادث ، فقال رئيس الجوقة : بعد « البروفة » عادت إلينا «أنا» إحدى مغنيات الفرقة من شقتها في الطابق الأعلى وتناولت عشاء خفيفا معنا أنا وبول في

شقتنا هذه فنحن نقيم هنا معا . وبعد أن شرب بول كأسا من الخمر ذهب إلى الحمام . وما هي إلا لحظة حتى سمعنا صوتا كالذي يحدثه سقوط جسم على الأرض ، فأسرعنا إلى الختم وفتحنا الباب فبنا هول ما رأينا .. ولم استطع الدخول فأغلقت الباب واستدعيت الطبيب والبوليس

فسأله المأمور : ألم تلاحظ وجود رائحة دخان في الحمام ؟

فقال رئيس الجوقة : نعم شممت نوعا من الدخان كان يحبه بول

وسأل المأمور الطبيب في كثير من الإشفاق : هل تألم بول كثيرا أيها الطبيب ؟ فقال الطبيب : لا .. لقد مات قبل أن يشمر بألم شديد كما ثبت لي من فحص الجثة فقال المأمور لرئيس الجوقة : وهذا بالإضافة إلى غيره يجعلني أرى الحادث قتلا لا انتحارا ... فاصحباني أنت وصاحبك إلى المحضر متبوضا عليكما .

أي قرينة أخرى غير موت بول السريع جعلت المأمور يرى الحادث قتلا لا انتحارا ؟
الرواية : فكر في الحل يا سيدى القارىء فإذا عجزت عنه فائرجأ في العدد القادم